دار قصص
وحكايات
للنشـــر
الإلكتروني
2020

رواية

وعندها اتخذت قرارًا

أسماء حمودة

وعندها اتخذت قراراً

رواية

أسماء حمودة

العنوان: وعندها اتخذت قراراً

النوع الأدبي: رواية

المؤلف: أسماء حمودة (نبذة)

قوة السرد: كتابات شبابيّة

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى/ عامية

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغُلاف: رمضان سلمي برقي

سنة النشر: 2020

الحالة: حصرياً

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار: 80

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2020

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

إهداء:

إليكِ يا من فتحتِ لي أبواب الحلم فلولاكِ لم أكن لأفعل ما أريد ولكن وجودكِ بجانبي أعطاني دفعة للحلم وللكتابة دون قيود...

إلى سبب وجودي في هذه الحياة... إلى أمي.

أسماء حمّودة

مقدمة

إذا كان مِن الأنبياء مَن أخطأوا ثم استغفروا ربهم فهل يوجد من البشر من لا يخطئ؟ ولكننا لسنا رحماء بأنفسنا، لا يعطي المجتمع الفرصة الثانية بالرغم من أن بعض الأشخاص يستحقونها، فعندما يخرج شخص ما من السجن نخشاه ونتركه بدون عمل ليعد أدراجه إلى فعلته مرة أخرى، مع العلم أنه إذا أعطي له الفرصة الثانية سيصبح مختلفاً عن ذي قبل.

لا يوجد بشر دون عيوب أو خطايا، فالإنسان مخطئ ولو ظن نفسه صائباً، إنها طبيعته التي خُلق عليها فحتى سيدنا آدم عليه السلام أخطأ وغفر له الغفور الرحيم، وأيضاً سيدنا يونس عليه السلام أخطأ ولكنه نجى بقوله "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" فالله أعطى الفرصة الثانية للأنبياء، ويعطيها لنا صباح كل يوم، فمن نحن لكي لا نعطي الفرصة الثانية لأحبائنا؟! من نحن لنتصيد الأخطاء لمن حولنا ونلدغهم بألسنتنا؟

لا تعط فرصة واحدة بل اعط أكثر من مائة فرصة قبل أن تاخذ القرار وتحكم على غيرك بالإعدام، تعرف على أحبائك جيداً وافهم ما يحدث بداخلهم فجميعنا لسنا

بخير من الداخل، اعلموا المبرر لأخطائهم حتى لا تقعوا في فخ الحكم دون العلم ثم الندم بعد ذلك.

يقول دارسي القانون جملة شهيرة لا نستعملها في حياتنا اليومية "المتهم برئ حتى تثبت إدانته" فاجعلوا من أنفسكم محققين واعرفوا الدوافع وراء الجريمة قبل أن تحكموا عليهم بالسجن المؤبد داخل أنفسهم ووحدتهم أو بالنفي بعيداً عن أحبائهم ثم احكموا عليهم بروح القانون لأن القانون أحياناً ما يكون ظالماً.

أسماء حمّودة

مرحباً مجدداً

فرغ الناس من صلاة الجمعة وشرعوا في الانتشار بالأرض وهنا بحي السيدة زينب انبعثت رائحة الفول والفلافل من مطعم رشدي وانتشر صوت سورة الكهف بصوت الشيخ الطبلاوي من مقهى السعادة وبجانب المقهى بدأ الحاج رضوان بائع الخضراوات بترتيب سلعه.

وقفت سيدة ترتدي الحجاب الأسود الطويل ويبدو أنها بنهاية العقد الخامس من عمرها أمام الحاج رضوان لتشتري بعض الخضراوات، وقفت بجانبها سيدة صغيرة يبدو عليها الهدوء والبراءة والشباب لتشتري هي الأخرى بعض الحاجيات بدأ الحاج رضوان يتحدث لتلك السيدة الكبيرة :

ـ الا قوليلي يا حاجة منى هو بجد في ثورة النهاردة ؟

اكتفت السيدة الصغيرة بابتسامة سخرية بينما ردت الحاجة منى:

ـ والله يا رضوان بيقولو بس يعني هو احنا ناقصين قلة استقرار دول ناس مش عايزين مصر تتقدم الراجل عامل اللي عليه وزيادة ومنضف البلد وعامل كباري وشبكة طرق جديدة ووحدات سكنية وحاجات كتير اوي ومع ذلك مش عاجب ناس معندهمش دم

ومصدقين الراجل الخاين اللي طالعلي ع الفيس بوك احنا ف مصيبة والله دة كفاية اننا عايشين ف أمان.

بدا عليه الاقتناع وهو يقول:

_ عندك حق والله يا حاجة .

ظلت السيدة الصغيرة تبتسم نفس الابتسامة مما دفع السيدة منى لتقول :

_ ايه يا بنتي بتضحكي أكيد مش عاجبك كلامي صح ماهو انتي زيك زي جيلك كله.

لم ترد السيدة الصغيرة الدخول في نقاش من ذلك النوع لأنها تعرف أنه لا يجدي نفعاً فقالت وهي تبتسم للحاجة منى :

_ يا طنط كلام حضرتك على عيني وعلى راسي .

أعطت النقود للحاج رضوان ثم نظرت للحاجة منى وشعرت أنها تجد صعوبة في حمل الاشياء التي اشترتها فسألتها:

_ طنط تحبي اساعدك ف شيل الحاجات دي؟

نظرت لها السيدة منى وابتسمت :

_ مش عايزة اتعبك يا بنتي .

_ مفيش تعب ولا حاجة يا طنط تعبك راحة قوليلي بس انتي ف أنهي عمارة .

_ اللي قدامك دي على طول .

_ حلو اوي دة احنا جيران يلا يا طنط نطلع سوا .

صعدتا السيدتان إلى الطابق الثالث ثم وضعت السيدة الصغيرة حاجيات السيدة منى أمام بيتها شكرتها تلك السيدة على ما فعلته وكادت السيدة الصغيرة أن تتوجه لمنزلها الذي يقع أمام الأخرى لولا أن استوقفتها السيدة الكبيرة قائلة :

_ انتي بقا الساكنة الجديدة اللي عملتلي دوشة اليومين اللي فاتو؟

ابتسمت السيدة الصغيرة قائلة :

_ أيوة يا طنط أنا أسفة جداً والله

نظرت لها السيدة نظرة متفحصة وقالت لها :

_ انا حاسة اني اعرفك

_ والله وانا كمان بشبه على حضرتك يا طنط

أشارت السيدة بإصبعها ناحية السيدة الصغيرة وقالت وهي تبتسم :

_ استني استني انتي شهد مش كدة ؟ اعذريني يا بنتي انا مشفتكيش غير يوم فرحك.

عقدت شهد حاجبيها وتفحصت هي الأخرى السيدة منى وتذكرت شيئاً ما ثم ابتسمت وهي تقول :

_ أيوة أيوة حضرتك طنط منى اخت طنط أمل مش كدة ؟

_ هههههههه مظبوط يا شهد تعالي تعالي جوة ندردش شوية .

_ ماشي يا طنط هدخل الحاجات دي واجيلك.

دخلت منزلها وما زالت الابتسامة على وجهها فهي تعرف الكثير عن السيدة منى بالرغم من عدم معرفتها بها شخصياً وتعرف مدى طيبتها وحنوها على كل من تعرفه انتهت من وضع أشيائها وذهبت إليها مسرعة.

دخلت شهد لمنزل السيدة منى وبدأت السيدة منى بالتحدث:

_ قوليلي يا شهد ايه اللي جابك بقا هنا ف السيدة زينب رغم ان ليكي بيت ف الدقي وفين والدتك صحيح؟

نظرت شهد للسيدة منى وبدأت تتجمع الدموع في عينيها وقالت :

_ والدتي الله يرحمها يا طنط وبصراحة البيت التاني فضا عليا اوي ومفيش ونس خالص ف المنطقة اللي كنت فيها لكن هنا الناس عارفة بعضها في ونس وصوت عالي ف المكان هحس بالألفة شوية هنا .

ربتت السيدة منى على يد شهد وهي تقول :

_ الله يرحمها ويحسن إليها انتي عارفة ان أمل بتحبها اوي كانت تقولي متتخيرش عنك ف الحنية لو عرفت هتزعل اوي

_ الله يرحمها ويغفر لها راحت وسابتني كدة بخبط لوحدي ف العالم دة

_ بقولك اي يا بت انتي متعيطينيش انا دمعتي قريبة وبعدين اعتبريني زي والدتك

ابتسمت شهد ابتسامة خفيفة وهي تقول:

_ حاضر يا طنط والله انا ندمانة اني معرفتكيش من زمان دة انا حبيتك من أول نظرة بصراحة كل اللي سمعته عن حضرتك صح

_طيب انا هدخل اعمل لقمة ويبقا عيش وملح بيننا واوعي تقولي لأ

_ مش هقول لا طبعا دة انا سمعت أن طبيخك لا يعلى عليه بس اسمحيلي اساعدك

ابتسمت السيدة منى وأمسكت بيد شهد وأخذتها لتساعدها بالفعل

* * *

استيقظت من نومها لا تعرف كيف نامت فقد عادت من منزل السيدة منى لا تفكر غير بالنوم بعد تلك الوجبة الرائعة والمسامرة معها فتحت تليفونها المحمول وعرفت

الساعة وحمدت الله لم تتأخر على عملها والآن حان وقت العمل فهي تعمل موظفة بحسابات إحدى الشركات

هنا في ذلك المكان الذي يعم بالضجة من قبل الموظفين والعملاء وغيرهم وقفت شهد في الكافيتيريا لتشتري قهوتها الصباحية كالعادة ثم توجهت لمكتبها الذي تشعر بالراحة في العمل به وكأنها وجدت أخيراً المكان الذي تنتمي إليه

دخلت إلى مكتبها وعرفت من إحدى الموظفات أن مديرها ينتظرها فتوجهت مسرعة إلى مكتبه الذي يفصل بينه وبين مكتب الموظفين حائل زجاجي فقط.

دخلت عليه وجدته منهمكاً في بعض الأوراق أمامه تنحنحت قليلاً فنظر إليها معدلاً من وضع نظارته وقال لها بابتسامة :

_ شهد اخيرا جيتي

= حضرتك محسسني اني اتأخرت انا جاية ف معادي اهو

_ هههههههه لا يا شهد دة انتي جاية بالدقيقة بس انا عندي ليكي خبر حلو النهاردة

نظرت له نظرة متحفزة ثم قالت :

_ خير يا أستاذ أيمن؟

= أخيراً انا هرجع لعملي الأصلي كمدير للشركة وحضرتك هتبقي مديرة الحسابات

ابتسمت شهد ابتسامة واسعة وقالت :

_ بجد يا أستاذ أيمن انا اللي بقيت محل ثقتك ؟

= يااااه يا شهد احنا عندنا ٥ موظفين حسابات غيرك بس انتي غير بصراحة شاطرة وملتزمة وبتحبي الشغل وبتديله وأنا بدير الحسابات من أول ما فتحنا الشركة دي يعني أنا بشتغل شغلتين شريك ف الشركة ومدير الحسابات لحد ما جيتي

_ الحمد لله يا أستاذ أيمن انا سعيدة جدا بالعمل مع حضرتك وميرسي على ثقتك

نظر إليها أيمن بنظرة جادة قائلاً :

_ شوفي بقا يا ستي انتي عارفة ان نظام الشركة عندنا ان كل تخصص هو شركة قائمة بذاتها وان مديرين الاقسام بس هما اللي بيتعاملو مع رئيس مجلس الإدارة والموظفين هما تحت إدارة مديرين الأقسام بس وملهمش تعامل مع الرئيس

= أيوة يا أستاذ أيمن انا عارفة كل دة

نظر لها بنظرة جادة أخرى وهو يقول :

_ شهد انتي لازم تقابلي رئيس مجلس الإدارة النهاردة

بدا على شهد الارتباك وبدأت بتشبيك أصابع يديها وقالت :

_ طب هو مخيف ولا اي نظامه؟

= هههههههه لا خالص يا شهد تعالي معايا بس ومتخافيش وبعدين انتي معندكيش فضول تعرفيه؟

_ طبعا عندي فضول

= طب يلا بينا

وصلا أيمن وشهد إلى مكتب رئيس مجلس الإدارة سأل أيمن السكرتيرة إذا كان هناك أحد مع الرئيس فردت بالسلب وسمحت لهما بالدخول حينها وجه أيمن حديثه لشهد : – أنا هدخل الأول اقوله ع المديرة الجديدة وبعدين اندهلك تمام؟

قالت بنفس حالة الارتباك :

= تمام

لا تعرف شهد لماذا تتوتر بهذا القدر فهذه ليست أول مرة لها للعمل أو مقابلة الرؤساء والمديرين وغيرهم فهي لديها خبرة بذلك العمل منذ أن تخرجت ولكنها تعمل منذ عام ولا تعرف من هو رئيس تلك الشركة فيمكن أن يكون هذا هو سبب ارتباكها.

فعل أيمن ما قاله لشهد ثم خرج من مكتب الرئيس وأشار لشهد لكي تدخل معه، وبالفعل دخلت ولم تستطع إيقاف توترها وعندما رأت الرئيس كاد أن يغشى عليها.

حالتها هذه لم تكن أفضل من حالة الرئيس الذي بدأ يتصبب عرقاً رغم وجود مكيف الهواء بمكتبه صمتا قليلاً ثم قطع الأستاذ أيمن هذا الصمت قائلاً :

– رغم اني مش محتاج أعرفكو على بعض إلا إني شكلي مضطر أعملها

– الأستاذ أسامة عبد المنعم رئيس مجلس الإدارة ..... الأستاذة شهد كامل منصور مديرة الحسابات الجديدة وبتشتغل هنا من سنة زي ما قلتلك

– أنا هستأذن واسيبكو تتعرفو على بعض أكتر سلام عليكو

قبل أن يذهب أطلق عليه أسامة نظرة نارية جعلته يخرج من المكتب مسرعاً قبل أن يُقتل الآن.

ساد الصمت المكان قليلاً ثم بدأ باستضافتها :

– اتفضلي أقعدي

زاد تعرق يدها من تشبيك أصابعها وقالت بتوتر بالغ :

– ش .. شكراً

بدأ بالتحدث بجدية ونبرة يشوبها الشك قائلاً :

– انتي بجد متعرفيش مين رئيس مجلس الإدارة؟

عدلت من موضع حجابها قائلة :

– أنا عارفة الأستاذ أيمن كشريك لحضرتك والمفروض انه رئيس برضو لكن معرفش مين الشريك التاني إلا دلوقتي

قام من مجلسه وقال بحزم:

– على ما أعتقد انك مش هترتاحي ف الشغل هنا فلو قدمتي استقالتك هقبلها

بدأت تهدأ من توترها ونظرت له بتحدي ثم قالت :

– أستاذ أسامة أنا لما جيت الشغل هنا مكنتش أعرف حضرتك وبصراحة المكان هنا أنا ارتاحت فيه جداً بعد الشركة اللي فاتت واللي حضرتك عارف شغلها وتعاملها كويس جداً ولذلك أنا مش هسيب الشركة بسبب حضرتك وبالنسبة للأمور الشخصية فدة ملوش أي علاقة بالشغل دة غير إن حضرتك شخص عادل ومحترم وانا يشرفني الشغل مع حد زيك

لم يعرف بماذا يرد على ما قالته ولكنه قال :

– تمام وانا عارف انك شاطرة ف شغلك ولو هيريحك الشغل عندنا تمام استمري

= ميرسي جدا يا أستاذ أسامة ودلوقتي عن اذن حضرتك

– اتفضلي

خرجت من المكتب وتنفست الصعداء ولكنها وجدت أيمن يقف أمام المكتب منتظرها وسألها على الفور :

– شهد انتي مش هتستقيلي صح؟

قررت أن تلعب معه قليلاً فهذا من حقها لأنه يعرفها جيداً منذ عام ولكنه لم يقل لها شيئاً عن أسامة فنظرت له بخبث وقالت :

– هستقيل طبعا هو بعد اللي شفته جوة دة هقدر اقعد

نظر للأرض ثم قال بتوسل :

– طب عشان خاطري أنا متعمليش كدة أنا ما صدقت لقيت حد يمسك شغل الحسابات شهد الشركة دي مفتوحة من أربع سنين وأنا من يوم ما فتحت مقسوم نصين بين شغلي كشريك وشغلي ف الحسابات أرجوكي بلاش

ضحكت كثيراً عندما وجدته في هذه الحالة وقالت له :

– مش هستقيل يا أستاذ أيمن بس أنا نفسي اعرف طالما انت عارفني من أول يوم اشتغلت فيه هنا ليه مقلتليش؟

– كنت شايفك متحمسة ولما اشتغلتي معانا وعرفت انك شاطرة مرضتش أقولك بس هو انتي مشبهتيش عليا؟

عقدت حاجبيها وهي تقول :

– لا أنا مشفتكش غير يوم فرحي وطشاش كمان

– معاكي حق بس أنا افتكرتك من أول ما شفتك المهم انك معانا صح؟

ضحكت كثيراً قائلة :

– والمصحف الشريف صح وعزة جلالة الله صح

– ربنا يخليكي ويكرمك أنا هدخل لأسامة اتهزأ شوية وبعدين اجيلك أعرفك هتعملي ايه ف شغل الحسابات تمام؟

– تمام مستنية حضرتك

دخل أيمن إلى أسامة مرة أخرى وعندما رآه أسامة هب واقفاً وقال له بحدة :

–يعني هي بتشتغل هنا من سنة وانت مش قادر تقولي حاجة زي كدة؟

عدل من وضع نظارته وقال له بخبث :

– بصراحة حبيت أعملهالك مفاجأة

– مفاجأة ايه يا عم انا اتخضيت الله يخربيتك يا أيمن

– جرا ايه يا أسامة اعتبرها يا سيدي واحدة بتشتغل معاك ولا كأنك تعرفها

رد عليه بغيظ قائلاً :

– لا والله بالبساطة دي مش كدة؟

– إذا كانت هي نفسها خدتها بالبساطة دي يبقا انت عامل دوشة ليه؟

هدأ قليلاً وجلس على مكتبه مرة أخرى ثم وضع يده على موضع لحيته وقال:

– صحيح دة شهد اللي أنا أعرفها المفروض تمشي علطول لكن دي مصرة انها تكمل ف الشغل ولا يهمها أي حاجة شخصية فعلاً غريبة

وجه إصبعه باتجاه أسامة قائلاً:

– يبقى انت كمان يا صاحبي اعمل زيها بصراحة هي شاطرة وتستاهل المكان اللي هي فيه وطبعا هتريحني من شغل الحسابات

– عموماً هي حسمت الموقف وقالت انها هتكمل رغم كل حاجة

– طب عن اذنك بقا يا سمسم أنا هروحلها عشان أعرفها شغلي كان ماشي ازاي

* * *

عادت لمنزلها بعد العمل ودخلت لغرفتها بمنزلها الصغير البسيط ثم جلست على فراشها

فجأة سمعت صوتاً يقول لها وهو يحطم أحد تحف الغرفة :

_ كفاية بقا كفاية انا تعبت وقرفت وزهقت منك ومن قرفك وعمايلك اللي معدتش قادر أصبر عليها

رأت هذا الرجل يقف في مواجهتها ظلت تصرخ وبدأت تبكي كثيراً وتقول :

– ارحمني أرجوك عشان خاطري ارحمني متسيبنيش مقدرش استحمل بعدك

تركها وخرج من باب الغرفة خرجت ورائه أمسكت بمعصمه توسلت إليه :

_ انت عارف اني بحبك ومقدرش استحمل بعدك عني أ ... أنا هصلح كل حاجة بس متعملهاش

ابتسم لها بسخرية قائلاً :

_ كل مرة بتقولي كدة وكل مرة بصدقك لحد ما بقيت أنتيكا ولا تحفة ف بيتك وبتلعبي بيا وانا مسلملك نفسي وقلبي ومشاعري لحد ما حلاص جبت اخري

صمت قليلاً ثم قال :

– انتي طالق يا شهد

أطلق تلك الرصاصة في صدرها ثم توجه إلى باب المنزل وهي ما زالت تتوسل إليه وتتمسك بقدمه بأعين باكية :

_ أرجوك متعملش كدة

لم يستمع لها أو يعيرها اهتمام قتلها وخرج من المنزل وأغلق الباب ورائه بقوة.

ومع صوت هذا الباب استيقظت من نومها وهي تلهث شربت بعض الماء ثم دخلت مسرعة لتتوضأ وتصلي المغرب الذي سمعته يؤذن للتو

فرغت من الصلاة ودعت الله أن يخلصها من ذلك الكابوس الذي تحلم به دائماً ثم جلست على إحدى أرائك المنزل وتذكرت عندما ذهبت لوالدتها بعد تلك الحادثة منذ خمس سنوات.

وصلت لمنزل والدتها طرقت الباب وبالطبع عندما رأتها والدتها بهذه الهيئة يبدو عليها آثار البكاء وفي يدها حقيبة كبيرة ذُعِرت كثيراً وسألتها :

– مالك يا شهد حصل ايه ؟!!!

لم ترد شهد بل ارتمت بين ذراعي والدتها وظلت تبكي حتى سألتها والدتها مرة أخرى :

– حصل حاجة بينك وبين أسامة؟

نظرت إليها بانكسار وقالت من وسط دموعها :

= اتطلقت

فجعت أمها من هذا الرد بينما أخذت شهد حقيبتها ودخلت غرفتها وأغلقت الباب وتركت أمها تحاول استيعاب الخبر.

قامت والدة شهد بالاتصال بوالدة أسامة لتعرف ماذا يحدث وبالفعل أتاها الرد مسرعاً من والدة أسامة :

– سلام عليكم يا سعاد

ردت وابتسمت ابتسامة خفيفة بالرغم من قلقها

– ازيك يا أمل عاملة ايه

– الحمد لله يا حبيبتي

ترددت السيدة سعاد في فتح هذا الموضوع ولكنها استجمعت قواها وسألتها :

– ينفع يا أمل اللي حصل من أسامة دة ؟

عقدت السيدة أمل حاجبيها وسألت :

– أسامة عمل ايه يا سعاد؟!

– انتي متعرفيش؟!

– لا والله ما اعرف أسامة مش هنا أصلاً ولا شفته النهاردة غير الصبح بدري ومجاش بعد كدة

لم تعرف السيدة سعاد ماذا تقول ولا تستطيع أن تصدم هذه السيدة المسكينة فقالت لها شئ واهي :

– م ... م ... مفيش انا بس واخدة على خاطري منه شهد جاية تقضي معايا اليوم النهاردة وهو مجاش معاها

تنفست الصعداء وابتسمت ثم قالت :

– خضتيني يا سعاد والله حرام عليكي انا هبهدله انه مجالكيش النهاردة

– لا متبهدليهوش أنا بحبه دة زي ابني

= ربنا يديم المحبة يا سعاد

– طيب يا حبيبتي مش عايزة أي حاجة

– تسلمي

أغلقت السيدة سعاد الخط مسرعة

* * *

جاء اليوم المشئوم والذي لم تستطع اتصالات السيدة سعاد والسيدة أمل إيقاف ما سيحدث به عرفت فيما بعد السيدة أمل بما فعله أسامة واتصلت مرة أخرى بوالدة شهد حاولن إيقاف هذا الطلاق ولكن بلا جدوى فأسامة مصرّ على موقفه رغم محاولات والدته لإقناعه.

جاء أسامة ومعه منفذ حكم الإعدام واثنين من الشهود وقبل أن يبدأ المأذون في إجراءاته طلبت والدة شهد التحدث مع أسامة على انفراد .

ذهبا إلى شرفة المنزل وبدأت السيدة سعاد بالتحدث إلى أسامة :

– ممكن أفهم يابني حصل ايه شهد من امبارح مبتنطقش بولا كلمة

أمسك أسامة بيد والدة شهد فهو يعتبرها مثل والدته وقال لها :

– بصي يا أمي أنا كمان مش هقولك حصل ايه ولا ليه أنا عملت كدة لو شهد حبت تحكيلك بنفسها تمام لكن لو هي معملتش كدة أنا مش هتكلم وحش عنها بس كل اللي أقدر أقولهولك ان مفيش نصيب لحد كدة ودة قدر ربنا أنا مش هقدر استحمل اكتر من كدة واتمنى ربنا يرزق شهد بشخص يبقا أحسن مني

لم تستطع والدة شهد الرد أو تغيير ما يحدث قالت في نفسها لعله خيراً وخرجت معه مرة أخرى ليكمل إجراءات الطلاق

انتهى تنفيذ حكم الإعدام على شهد وقبل أن يذهب أسامة ألقى نظرة خاطفة على شهد التي حاولت التماسك أمامه ثم ذهب بلا رجعة.

****

تلك السنوات

اكتمل القمر بدراً اليوم ليظهر بجماله وبهائه واكملت تلك الليلة أغنية أعز الناس لعبد الحليم حافظ من مقهى السعادة والتي كل من يسمعها يشعر بالشوق والحنين لمن يحبه وجلس صاحب المقهى (المعلم عبد العال) يستمع لتلك الأغنية بإمعان فهو عاشق لكل ما هو قديم حتى المقهى الذي يملكه يشعرك وكأنه من زمن الخمسينات أو قبل ذلك.

توقف المعلم عبد العال عن الشرود في الأغنية عندما رأى تلك السيارة الفارهة التي تأتي للمنطقة كل فترة وقف ليحيي ذلك الرجل الذي ترجل من سيارته للتو هو متوسط الطول ويبدو عليه الاحترام من ملبسه وهيئته قال وهو يضع يده في موضع تحية الجيش :

– أستاذ أسامة يا غالي ازيك يا باشا

ابتسم ومشى حتى وصل للمقهى ووضع يده في يد المعلم عبد العال قائلاً :

– واحشني يا معلم والله ووحشاني أغانيك الحلوة

– ماهو عشان كدة بتيجي

– مانت عارف بقا الدنيا مشاغل يا معلم

فجأة صرخ المعلم وبدون أي إنذار :

– يا نهار اسود الحق الست منى

نظر أسامة بدوره إلى الوراء ليجد تلك السيدة تصرخ ووراءها شاب يهددها بسلاح صغير (مطواة) مما جعله يترك المعلم ويصعد على الفور باتجاه منزل السيدة لينقذها.

وصل إلى هناك ولا يعرف كيف صعد السلم في ثوان وجدها تحاول كسر الباب ولكن تفشل في هذا وقف قليلاً بذهول ولكنه أفاق بسرعة وكسر هو الباب ودخلا معاً إلى منزل السيدة منى.

وصلا إلى الشرفة وبحركة رياضية باغت أسامة هذا الشاب من خلفه وأوقع سلاحه على الأرض ثم ضربه إلى أن أغشي عليه ثم أسنده إلى غرفته بينما أمسكت شهد بالسيدة منى واحتضنتها وحاولت أن تهدئها ودخل الجميع من الشرفة.

خرج من الغرفة وجلس في حالة ذهول من كل شئ حوله ثم نظر إلى غرفة ذلك الشاب ونظر إلى السيدة منى قائلاً :

– معقولة يا خالتو ازاي حازم يوصل للمرحلة دي

نظرت له من وسط بكائها قائلة :

– هو بقاله فترة بتاع شهر كدة مش مظبوط بييجي من برا ميتكلمش يخش ع السرير علطول ويروح ف سابع نومة بعد كدة لقيت تحت عينه اسود قلت م الشغل والتعب لكن اللي حصل النهاردة دة عدى كل التوقعات

قالت بحزم شديد :

– طنط ابنك لازم يروح مصحة ويتعالج قبل ما يوصل لمرحلة أخطر اللي عمله النهاردة دة كانت حاجة بسيطة لكن بعد كدة بعد الشر ممكن يعملها بجد ومنغير ما يتأثر دقيقة اللي بيروح ف منطقة الإدمان دي يا يلحق نفسه يا مش هيرجع

وضعت السيدة منى رأسها بين كفيها وقالت :

– لا حول ولا قوة إلا بالله ابني أنا حازم اللي كل الناس بتتكلم عن أخلاقه يبقا مدمن؟! الله يسامحها اللي كانت السبب.

أمسك بيد خالته وقال بإصرار :

– احنا مش هنسيبه كدة يا خالتو هنوديه أحسن مصحة عشان يتعالج فيها ولازم يتعالج وهيرجعلك أحسن م الأول إن شاء الله

نظرت للسيدة منى وأمسكت بوجهها ثم رفعت رأسها في مواجهتها قائلة :

– أنا أسفة يا طنط اني قلتلك الكلام القاسي دة بس الموضوع محتاج قوتك مش ضعفك ومحتاج ابتسامتك مش دموعك لو سمحتيلي أنا الصبح هجيلك وأحاول أقنع حازم بالعلاج بس دة لو انتي سمحتي

ابتسمت السيدة منى لشهد وقالت لها :

– يا بنتي انتي ف يومين بس بقيتي خلاص من أهلي ربنا وضع محبتك ف قلبي بطريقة متتصوريهاش وانا موافقة على أي حاجة هتعمليها

ابتسم ابتسامة سخرية وقال :

– وحضرتك هتقنعيه ازاي بقا إن شاء الله كان عندك مدمنين ف حياتك قبل كدة؟ ولا انتي بقيتي مدمنة؟

اغتاظت شهد من تلك النبرة المستهزئة التي حدثها بها ثم ألقت قنبلة في وجهه قائلة : – أنا مش ضعيفة أوي كدة يا أستاذ أسامة ومفيش حاجة بتوقعني الحمد لله أما لو عندك فضول أوي يعني تعرف هقنعه ازاي ف آه كان عندي مدمن ف حياتي قبل كدة.

وقفت واستأذنت من السيدة منى بالذهاب إلى منزلها وكما وعدت ستأتي في الصباح.

دخلت منزلها وقفت أمام صورة والدتها التي في مدخل بيتها وابتسمت قائلة :

– شفتي ياأمي شفتي يا ست سعاد بنتك بقت تقدر تقف ف وش التخين وتقوله انها مش ضعيفة لا بالعكس قوية تقدر تعتمد على نفسها وبس ف حل مشاكلها بنتك اللي بتتمنيها اهي واقفة وجامدة ومحدش قدر يكسرها الحاجة الوحيدة اللي نقصاني هي انتي يا أمي مش عايزة م الدنيا غيرك بس الحمد لله انتي عند اللي احسن مني الله يرحمك ويغفرلك يا حبيبتي.

سمعت صوت طرق باب منزلها كفكفت دموعها ثم ذهبت لتنظر من خلف الباب لتجد أسامة اندهشت ولكنها فتحت الباب.

وقف أمامها وقال بتهذيب :

– شهد ممكن اسألك سؤال؟

ابتسمت رغماً عنها فهو منذ قليل كان يتحدث بسخرية ولكنه الآن يقف أمامها بأدب جم ولكن ابتسامتها جعلته يسأل :

– انتي بتضحكي على اي؟

– أنا أسفة خير كنت عايز ايه؟

تنحنح قليلا ثم صمت ولكنه سألها أخيراً :

– هي طنط سعاد موجودة؟

بالطبع يجب أن يتحدث بتهذيب عندما يتحدث عن أمي هكذا قالت شهد في نفسها ولكنها لم تستطع النظر في عينيه لا تعرف بماذا تجيبه سيصدم كثيراً عندما يعلم ما حدث أخذت نفساً عميقا وردت فهي مجبرة على ذلك الآن :

– شايف الصورة الكبيرة اللي قدامك ليها دي؟

– أيوة

عندها ترقرقت الدموع في عينيها وقالت :

– كل ما توحشني ابصلها واقعد اكلمها كأنها موجودة

نظر لها بذهول شديد وبدأت تترقرق الدموع في عينيه هو الآخر وقال غير مصدقاً كلامها :

– لا لا أكيد لا انتي بتضحكي عليا مش كدة ؟ أرجوكي قولي ان دة كذب

بكت وهي تقول :

– كان نفسي يكون كذب يا أسامة بس هي دي الحقيقة

– حصل امتا؟

– من ٣ سنين تعبت أوي ودخلت عمليات كتير أنهكتها جداً لحد ما ربنا أراد انه يرحمها م العذاب دة

نظر لها بأسى والدموع تملأ عينيه بالفعل وقال :

– البقاء لله يا شهد

أومأت شهد برأسها قائلة :

– ونعم بالله

عاد إلى منزل خالته وهو منكس الرأس دموعه تسبقه فمهما كان الخلاف بينه وبينها كبيراً فهو يحب السيدة سعاد كثيراً ويعتبرها مثل أمه كان أحياناً يجالسها ويمازحها حتى إن شهد كانت تغار أحياناً وتقول لهما :

– اتفقتو عليا ولا ايه؟

ألقى بجسده على أقرب أريكة بالمنزل ظل يبكي ويفكر :

– هل ماتت ولم تكن راضية عني ؟ حزنت كثيرا بسبب ما فعلته بابنتها وبالتاكيد لقد ماتت وهي تدعو الله ألا يرضيني لم أكن أبداً أريد ذلك أو أحبه فهي مثل أمي لقد تمسكت بشهد أكثر عندما رأيتها رحمك الله يا أماه وجعل مثواكِ الجنة وأرجو من الله أن تكوني راضية عني الآن.

* * *

استيقظ من نومه ونظر في المرآه وجد السواد تحت عينيه ونظر لجسده الذي بدأ يضعف شيئاً فشيئاً واستحقر ذاته عندما تذكر تصرفه البارحة مع والدته وعندما هددها بالقتل إن لم تأتي له بالنقود التي سيشتري بها الشئ الذي يريحه وعندما وجد إحدى أكياس البودرة التي يشتمها في حجرته بعد أن استفاق من تلك الضربة القوية من أسامة شعر وكأنه وجد العالم بأكمله ما جعله يرتاح كثيراً وينام.

ظل واقفاً أمام المرآه بأعين دامعة يشعر أنه حقير ولا يستطيع حتى النظر في أعين أمه التي أبكاها البارحة لا يعرف ما الذي أوصله لتلك النقطة التي لا رجعة منها جلس على فراشه وظل يفكر ماذا سيفعل الآن عندما يرى والدته وابن خالته.

استيقظت الأم من نومها وتوجهت لإعداد الفطور كعادتها ولكنها فوجئت به نائم على الأريكة منذ البارحة حتى أنه لم يغير ملابسه ذهبت إليه وربتت على كتفه بحنان لتوقظه من نومه :

– أسامة .... أسامة

استيقظ من نومه أخيراً وحاول إزالة آثار النوم من عينيه وابتسم لخالته قائلاً :

– صباح الفل يا حبيبتي

– اي يا حبيبي اللي نيمك ع الكنبة كدة ما اوضة يحيى موجودة وفاضية؟

نظر أسامة إلى وضعية نومه ثم أعاد النظر إليها قائلاً :

– والله مانا عارف يا خالتو انا قلت اقعد هنا شوية لقيت نفسي نمت

ابتسمت السيدة منى ابتسامة واسعة وقالت :

– طب يا حبيبي قوم اغسل وشك على ما أحضر الفطار يلا

جلسا الاثنان على مائدة الفطور ثم خرج حازم من غرفته وكان منكس الرأس لا ينظر لأحد منهما وكاد أن يخرج من المنزل ولكن استوقفه أسامة قائلاً :

– ايه يا حازم مش هتسلم عليا ولا ايه؟

التفت له وما زال منكس الرأس وقال :

– ازيك يا أسامة عامل ايه؟

قال بنبرة حازمة :

– الحمد لله كويس يا سيدي مش هتتفضل تفطر معايا ولا رايح تفطر حاجة تانية؟

لم يرد حازم على ما قاله أسامة ولكنه عاد أدراجه ليخرج من منزله وبالفعل فتح الباب ليجد شهد في وجهه لم يعرف من هذه لذلك سألها باندهاش :

– مين حضرتك؟

ابتسمت شهد قائلة :

– مش بتشبه عليا خالص؟

نظر حازم لها بإمعان ثم قال :

– مش انتي طليقة أسامة باين؟! انتي رجعتيله ولا ايه !!!

ضحكت ضحكة عالية وقالت :

– يا عم حد يسيب الجواز ويرجعله تاني برجليه دة حتى يبقا عبيط

هنا وضع أسامة ملعقته على الطبق بقوة وكأنه اغتاظ بشدة من تلك الجملة التي ألقتها شهد ولكنها ما زالت مبتسمة وكأنها لم تقل شيئاً وابتسم حازم مع ابتسامتها فقالت متشجعة :

– طب ممكن تدخلني بس تدخل معايا يا أستاذ حازم ؟ لو سمحت؟

ارتاح حازم لتلك المعاملة والابتسامة اللطيفة منها فهي أول ابتسامة يتلقاها منذ استيقظ من النوم حتى وجهه في المرآه لم يكن مبتسماً أدخلها إلى المنزل ودخل معها وجلس الجميع على مائدة الإفطار معاً.

بدأت شهد بالتحدث إلى حازم تنحنحت قليلاً ثم قالت :

– حازم أنا ساكنة قدامك هنا من ٣ أيام تقريباً بيتنا بقا واسع وفاضي عليا فقلت اجي هنا والحمد لله لقيت والدتك يعني بدايتها مسك والحمد لله

– نورتي يا شهد

– ربنا يخليك يا حازم بص بقا يا سيدي أنا جاية دلوقتي عشانك مخصوص مش هنكر دة نفسي أحكيلك حكاية واحدة أعرفها كدة وبعد كدة همشي على شغلي أحسن ابن خالتك يرفدني بس ممكن تسمعني للآخر؟

نظر لها بإمعان وأومأ بالإيجاب مما شجع شهد لتبدأ حكايتها :

– كانت بنت وحيدة من صغرها والدها سابها وهي عندها ١٠ سنين واتجوز على مامتها والست دي هي اللي شالت واستحملت كل السنين دي وربت بنتها أحسن تربية لحد ما ماتت بس لما البنت كبرت واشتغلت وبقت قادرة تعتمد على نفسها لكن بعد ما والدتها اتوفت فجأة لقت الباب بيخبط ولأول مرة تشوف أبوها من ييجي ١٧ سنة مشفافتوش فرحت جداً دة أكتر وقت كانت محتاجة في لضهر وسند وحضن لكن بعد كام يوم من قعدته معاها لقته بيطلب منها فلوس بطريقة غريبة كانت بتديله بحسن نية لحد ما لقت سجاير ملفوفة وبرشام مخدر ف اوضته ويومها قررت انها متساعدوش

بأي حاجة وف يوم طلب منها وهي رفضت فضل يضربها ضرب مبرح وحصل معاها كدة أكتر من مرة لحد ما ف يوم كانت هتموت فيها لولا ان الجيران أنقذوها منه لما سمعو صريخها ساعتها بس الأب قرر العلاج لأنه مش عارف لو استمر على كدة ممكن يحصل فيها ايه

نظر إليها حازم باسطاً يده وهو يقول :

– انتي ايه هدفك من الحكاية دي؟

– هدفي هو انت يا حازم انت ممكن ف يوم من الأيام تبقا شبه الراجل دة امبارح هددت أمك بالقتل وبكرة ممكن تقتلها فعلا

حازم انت إنسان محترم وباين عليك ليه تعمل كدة ف نفسك وليه تعمل ذنوب تشيلها العمر كله فكر يا حازم لحد بالليل ولو انت عايز تبقا إنسان محترم بحق خبط ع الباب اللي قدامك دة وهتلاقيني مستنياك وهنروح المصحة سوا وان شاء الله ترجع دنيتك وشغلك وحياتك قولي صحيح انت بتشتغل ايه؟

ابتسم حازم ابتسامة سخرية قائلاً :

– كنت صحفي معروف أوي

حدثته بنبرة لوم :

– طب ينفع كدة توصل لهنا وانت صحفي ومعروف كمان زي ما قلتلك فكر وان شاء الله خير.

قام أسامة من مجلسه واستأذن خالته في الخروج خرج وخرجت شهد ورائه ليذهبا للعمل

نزلا الاثنان وكادت شهد أن تذهب لتركب إحدى المواصلات للعمل لولا أنه استوقفها ووضع يده يتخلل بها شعره قائلاً :

– احناا رايحين لنفس المكان اتفضلي اركبي معايا

نظرت له مبتسمة بلؤم وقالت :

– هضايقك يعني هيبقى ف بيت خالتك وف الشغل وف العربية كمان

– مفيهاش مضايقة ولا حاجة اتفضلي

ترجل السائق من السيارة مما جعلها تنظر له بذهول شديد وكأنها تذكرت شيئاً للتو ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة ، فتح لها الباب لتركب بالخلف ولكنها أوصدته قائلة :

– لا يا عمي أنا هركب قدام

انطلقت السيارة في اتجاه الشركة وبدأ أسامة بالتحدث مع السائق عن أولاده وتعليمهم وبدأ السائق يسترسل في حكاياته عن أبنائه كل هذا وشهد تنظر من نافذة السيارة ولا

تسمع شيئاً بل هي في ملكوت آخر تتذكر ذلك اليوم الذي ضُربت فيه من والدها ضرب مبرح حتى أنقذها الجيران منه ثم نزلت إلى المستشفى لتضمد جراحها ويومها خرجت من المستشفى لا تستطع السير ووجهها ملئ بالكدمات وذراعها لا تستطع تحريكه.

وقفت بهذه الحالة لكي توقف سيارة أجرة وتعود لمنزلها ووقتها وجدت تلك السيارة تقف أمامها ويخرج منها نفس ذلك الرجل الذي يقود سيارة أسامة الآن وطلب منها أن تركب معه ليوصلها للمنزل، تمنعت في البداية ولكنها وافقت لأنها لم تكن قادرة على الحراك أوصلها يومها للمنزل وشكرته ثم ذهبت.

اليوم تذكرت أن تلك السيارة التي تركبها الآن هي نفس السيارة التي ركبتها منذ ثلاث سنوات عندما خرجت من المستشفى وبما أنه نفس السائق وكان وقت العودة من الشركة يومها إذاً فأسامة هو من طلب منه ذلك وترجل هو من السيارة.

يحيرها هذا الرجل الذي بالرغم من كل ما حدث رق قلبه لها في ذلك الوقت وفي نفس الوقت يعاملها أحياناً بجفاء ، هي تعرفه جيداً فهو يحاول ألا يكون رقيق القلب ولكنه لا يقدر على ذلك ظلت تفكر وتبتسم أحياناً حتى أوقظها صوت أسامة قائلاً :

– شهد يا شهد اصحي انتي نمتي ولا ايه؟

نظرت بفزع للوراء قائلة :

– ايه ايه في ايه؟

ضحك هو والسائق معاً ثم قال :

– انتي كنتي فين؟ احنا وصلنا للشركة يا أستاذة

ابتسمت قائلة :

– معلش سرحت شوية متشكرة أوي ع التوصيلة

ظهر عليه نظرة جدية حاول أن يتصنعها وقال :

– دة مش عشانك دة عشان الشغل مينفعش تتأخري على شغلك

أطلقت شهد ضحكة عالية لأنه ذكرها بتلك النظرة التي تصنعها بالذي فكرت فيه منذ قليل هو لا يستطيع أن يكون شرير أبداً ولم تعطه الفرصة ليسألها علام تضحك بل ذهبت للداخل مسرعة قبل أن يفعل ذلك.

جلس في مكتبه أرجع رأسه للوراء وأغمض عينيه يفكر بها، هل هذا ما حدث لها في تلك السنوات التي انفصلا فيها عن بعضهما البعض؟ هل كانت تحكي عن نفسها فنصف هذه الحكاية الأول يعرفه جيداً ويعرف ترك والدها لها منذ سنوات، هل بالفعل عاد والدها لحياتها بهذا الشكل المخيف؟ يريد أن يسألها ولكنه لا يستطع ذلك.

إن كانت هذه حكايتها بالفعل فهو كان يتمنى أن يكون ما زال معها ولم يتركها في تلك الليالي القاسية ، تذكر السيدة سعاد وحزن لفراقها وتذكر أيضاً حالها في ذلك اليوم ووجهها الملئ بالكدمات وكيف أنه عندما رآها كادت الدموع تسقط من عينيه وبالفعل سقطت ولكن بعد أن ترجل من السيارة ليجعل سائقه يوصلها للمنزل، إن مرت بكل ذلك فكيف أنها لا تزال صامدة وتضحك وتبتسم كم أنها قوية ورائعة كما عَهِدها.

أيقظه من كل هذا صديقه الذي فتح عليه باب المكتب وجلس أمامه ليسأله :

– مالك؟

– مفيش

عدل من موضع نظارته وقام من مجلسه ليجلس على منضدة المكتب في مواجهته:

– طب عيني ف عينك كدة

نظر له بعصبية قائلاً :

– أيمن أنا مش فايقلك

– ما أنا عارف بص أنا مش هضغط عليك بس عايز اقولك انت فاكر معاد النهاردة؟

نظر له باندهاش قائلاً :

– معاد ايه؟!

صفق أيمن بيده قائلاً :

– لاااا دة انت زهايمر بقا الست والدتك مقالتلكش اني جاي مع بابا النهاردة عشان نحدد معاد الجواز

أرجع رأسه للوراء وكأنه تذكر شيئاً للتو :

– اااااااه تعالى يا حبيبي تشرف وتآنس أنا برضو بقول كفاية عليكو كدة انت وإيمان خللتو ف الخطوبة دي

– طيب انا حبيت افكرك لأني عارفك زهايمر وانا مش ناسي هعرف انت كنت بتفكر ف ايه يا أستاذ بس بعدين لما أكلم إيمي الأول

وقف أسامة وقال له بعصبية مصطنعة :

– متدلعهاش قدامي يا واد انت راعي انها أختي أنا مش كيس جوافة ها

أطلق أيمن ضحكة عالية وقال بطريقة غنائية :

– هروح اكلم إيمي .... هروح اكلم إيمي

ثم خرج من المكتب مسرعاً قبل أن يمسك به أسامة ويصنعا تلك الفكاهة الجنونية في الشركة وأمام الموظفين.

* * *

حل الليل وفي تمام الساعة الحادية عشر مساءً سمعت طرق بابها فقامت متثاقلة لتفتح وتجده أمامها يقول في عجالة :

– شهد انتي معاكي حق أنا مش قادر انسى نفسي وانا بتهجم على ماما امبارح أرجوكي وديني المصحة عشان اتعالج

ابتسمت ابتسامة واسعة شعرت أنها تريد معانقته لولا حدود الدين والتقاليد لفعلتها فهي سعيدة للغاية لأنه اتخذ تلك الخطوة قبل أن يصبح مثل أبيها ، قالت له بنفس الابتسامة :

– الحمد لله يا حازم انك قررت تعمل كدة الصبح إن شاء الله هنروح هناك سوا

ابتسم حازم لها وتركها ليعود لمنزله ولكنها استوقفته قائلة :

– حازم ممكن اسألك سؤال؟

– انتي تأمري

– ايه اللي وصلك لهنا رغم انك كنت بعيد تمام البعد عن الموضوع دة ؟

نظر لها حازم والأسى يملأ عينيه وقال :

– مسيرك تعرفي كل حاجة عني يا شهد وممكن تسألي ماما وهتحكيلك

نظرت إلى الأرض وقالت :

– أنا آسفة

ابتسم قائلاً:

– انتي متعتذريش أنا حاسس انك بقيتي زي اختي والله فبراحتك خالص اعملي اللي انتي عايزاه

ذهب لمنزله وعادت هي للداخل وأغلقت بابها ، دخلت لتكمل ما كانت تنوي فعله وهو أن تتصل بإحدى صديقاتها ، ولكن قبل أن تتصل جاءتها مكالمة من رقم مجهول ، في هذه الحالة هي تفكر قليلاً هل ترد أم هو رقم ما يحاول إزعاجها في ذلك الوقت المتأخر ولكنها ردت في النهاية عله يكون شيئاً هاماً ، ردت لتجد صوتاً نسائياً يقول :

– الحقيني

****

يوماً ما

أضاءت الأنوار ذلك المنزل الكبير وانطلقت الزغاريد مدوية في الأرجاء ، على وجوه الجميع تلك الابتسامة الساحرة التي تنم عن الفرحة الكبيرة بزواج أحدهم ، ويظهر في عيون الحبيبين تلك النظرة التي تقول (وأخيراً).

اتفقتا العائلتان على تحديد موعد الزواج خميس الأسبوع القادم حيث استكمل الطرفان كل مستلزمات الزواج.

نظر إلى حبيبته ثم إلى العائلة وظل يعدل من موضع نظارته حينها أدرك صديقه أنه يريد أن يقول شيئاً فبادره بالسؤال :

– عايز ايه يا أيمن قاعد تفرك م الصبح وتعدل نضارتك كل دقيقة خير في ايه.

شعر بالإحراج أن يقول ما يريده الآن ولكنه قال :

– لا يا سمسم مش عايز أقول حاجة يا حبيبي

يعرف أسامة صديقه جيداً ويفهم ما يريده لذلك قام من مجلسه قائلاً :

– بقول ايه يا عمو محمود ما تيجي نلعب عشرتين طاولة ف المكتب بتاعي

ابتسم ذلك الرجل الكبير وهو يقول :

– يلا يا حبيبي بقالي كتير ملعبتش معاك

– ماما كبايتين شاي من اديكي الحلوين بقا

ابتسمت الأم بخبث :

– ماشي هقوم اعمل الشاي

اقترب من حبيبته ناظراً إليها تلك النظرة التي أوقعتها منذ بدأت تتأسس شركة أخيها فهو دائماً ينظر لها نظرة الحب العميق التي تجعلها تطير فرحاً ، هي تعرفه منذ كانت صغيرة فهو صديق أخيها منذ الثانوية العامة ولكنها لم تراه وتشعر به جيداً إلا في تلك الأيام عندما كبرت وبدأت تنضج ، رأته أمامها رجل رائع يعتمد على نفسه وبالرغم من خلفيته الفقيرة ووالده الذي كان عاملاً بإحدى المصانع إلا أنه لم يتذمر أبداً على ذلك ويحمد الله دائماً لذلك وثق به أسامة ثقة عمياء وأدخله شريك بعمله بمجهوده فقط بل ويعطيه أخته زوجة له ، أما هي فقد وقعت بحبه وبتلك النظرة التي تجعلها تشعر وكأن العالم كله في عينيه فقط.

قال لها وهو مبتسم وينظر لها النظرة ذاتها :

– بحبك يا إيمان دعائي لربنا استجاب انك تبقي ليا الحمد لله يا حبيبتي اننا بقينا مع بعض وهنتجوز أخيراً

احمرت وجنتاها خجلاً ونظرت للأرض وهي تقول :

– الحمد لله

– يا بنتي احنا هنتجوز الاسبوع الجاي وانتي لسة بتتكسفي

رفعت عيناها إليه قائلة :

– اعمل ايه بس مانت بتكسفني كل ما بتبصلي كدة

أطلق ضحكة عالية وظل ينظر إليها وظلت هي تتحدث إليه تارة وتخجل تارة إلى أن خرج أسامة ووالده وعادت الأم التي أعدت الشاي لتجلس معهما.

* * *

الإضاءة تنطفئ ثم تعود لتضئ مرة أخرى ، يستمر الأمر على هذا الحال في ذلك المنزل ذو البهو الواسع والأثاث الفخم ، يجلس في مقدمة البهو ويده تطفئ الإضاءة التي بجانبه ثم تضيئها إلى أن دخلت المنزل ، لم تكن تره في البداية لذلك فزعت عندما رأت الإضاءة التي تأتي وتذهب ، ظلت تذكر المعوذتين وتستعيذ بالله من

الشيطان الرجيم إلى أن أضاء المنزل وقام من مجلسه لتجده واقفاً أمامها ، قالت وهي تضع يدها على صدرها :

– حرام عليك يا يحيى خضتني

وضع يده على كتفها قائلاً بحنان :

– ايه يا حبيبتي اتخضيتي؟ أنا آسف أنا حيوان متزعليش

ابتسمت قائلة :

– خلاص سامحتك. تعالى بقا أقولك على حاجة مهمة أوي

– استني أنا اللي عايز أوريكي حاجة حلوة أوي لازم تشوفيها

أمسك تليفونه المحمول ليريها فيديو مُخزَّن عليه ، انتهت من مشاهدة الفيديو لتجد يده قد نزلت على وجهها بصفعة قوية ليس بها شفقة أو رحمة بكت وهي تقول له :

– اسمعني أرجوك متحكمش عليا وانت مش فاهم حاجة

بصوت عال للغاية قال لها :

– مش عايز أعرف حاجة هتفهميني ايه بعد ما شفتك بعيني بتقوليله أخيرا حصل أنا بحبك أوي وماسكة ايده . أنا من زمان كنت شاكك فيكي انتي وابن خالتك لكن النهاردة أنا اتأكدت انك واطية وخاينة وعمري ما هسامحك أبداً.

قال ذلك ثم صفعها بقوة شديدة فوقعت على الأرض فأمسكها من رأسها وظل يجرها حتى وصلا لباب المنزل ، ظلت تصرخ وتقول :

– انت ظالم هتفضل طول عمرك ظالم، اللي يظلم أمه مش صعب عليه يظلم حد تاني انت حيوان عمرك ما هتبقى إنسان أبداً

تقول ذلك وهو ما زال يضربها ثم أخرجها من باب المنزل وهو يقول :

– انتي طاااالق

أغلق الباب ورائها ثم ظل يلهث ويحطم كل شئ حوله ثم ألقى بنفسه على إحدى الأرائك ، وضع رأسه بين يديه وظل يبكي وكأنه طفل صغير.

خرجت من المنزل لا تستطع الحراك شعرت وكأنه سيغشى عليها أمسكت بهاتفها ظلت تبحث به لم تعرف بمن تتصل الآن ، ولكنها وجدت رقماً تستطيع الاتصال به أخيراً ، اتصلت بها ودعت الله أن ترد عليها سريعاً وبالفعل جاءها الرد :

– ألو

قالت وهي تتنفس بصعوبة :

– الحقيني

– انتي ف العنوان اللي قلتيلي عليه قبل كدة؟

– ايوة

لم تستطع إكمال المكالمة الهاتفية لأنها قد أغشي عليها بالفعل

استيقظت لتجد نفسها مستلقية على أحد الأسرّة وبيدها وجدت محلول ما ثم التفتت لتجدها جالسة بجوارها ولكنها نائمة ، تنحنحت قليلاً فاستيقظت الأخرى سريعاً وسالتها :

– دعاء .. انتي كويسة؟

ابتسمت بوهن قائلة :

– الحمد لله .. أنا آسفة

تنفست الصعداء وأمسكت بيدها قائلة :

– آسفة على ايه بس بصي الدكتور قال المحلول دة لازم يخلص وبعدها نروح إن شاء الله وانا معاكي هنا مش هتحرك

أومأت برأسها وابتسمت قليلاً ثم نامت مرة أخرى

* * *

يتصاعد البخار من أكواب الشاي ، الهواء عليل هذه الليلة وأغنية (تملي ف قلبي يا حبيبي) للمطرب محمد فوزي تنتشر كالعادة من مقهى السعادة.

ارتسمت ابتسامة على وجه هذه الزوجة الحزينة أخيراً وبدأت تحتسي كوب الشاي الذي أمامها في شرفة المنزل وتستمع للاغنية بإمعان ثم قالت :

– ليكي حق يا شهد تيجي تعيشي هنا المكان حلو بجد والمعلم بتاع القهوة دي مزاجه عالي أوي

ابتسمت قائلة :

– ربنا يكرمك يا معلم عبد العال أخيرا شفنا الابتسامة على وش الست دعاء

فتحت كفها قائلة :

– اعمل ايه بس ماهو أنا مش هفضل ابكي على حالي طول الوقت كدة

– معاكي حق عموماً أنا مبسوطة أوي ان انتي جيتي وونستيني هنا رغم ان المكان هنا بعيد تماماً عن طبيعة الفلل والحاجات دي يعني مش قد المقام

أشارت بإصبعها ناحيتها :

– اوعي تقولي الكلام دة تاني وبعدين مانتي عارفة أنا عاشقة للأماكن اللي م النوع دة

– انتي هتقوليلي دة انتي حتى يوم ما اشتغلتي اشتغلتي ف صيدلية تحت بيتي القديم رغم ان باباكي يمتلك شركة أدوية كبيرة

أطلقت ضحكة عالية قائلة :

– ايوة يا بنتي أنا طول عمري وش فقر بس بصراحة حبيت ساعتها أبدأ م الصفر وبعدين أهي فرصة كويسة اتعرفت عليكي

قالت مقتضبة :

– والله مش عارفة من غيرك كنت عملت ايه كفاية وقفتك جنبي ساعتها والأدوية اللي كنتي بتجيبها لماما وبتطلعي البيت مخصوص عشان تقيسيلها الضغط والسكر الله يرحمها كانت دايما بتدعيلك.

أطلقت ضحكة عالية عندما رأت تلك السيارة الفارهة تدخل الشارع وقالت :

– واضح ان مش أنا بس اللي بحب الأماكن دي في عربية نضيفة داخلة الشارع

عندما رأت سيارته يترجل منها مع والدته وأخته قامت على الفور من مجلسها ودخلت من الشرفة ، دخلت دعاء ورائها وجدتها جالسة عل إحدى الأرائك تشبك أصابع يدها ويبدو عليها التوتر الشديد لم ترد سؤالها حتى لا تعتبر هذا تطفل منها ولكنها قالت :

– الجو سقع شوية برة ليكي حق تدخلي

وضعت رأسها بين يديها وبدأت تبكي فالأخرى وضعت يدها على كتفها قائلة :

– شهد في ايه ف العربية دي خلاكي تضايقي وتقومي فجأة كدة؟

نظرت لها من وسط دموعها قائلة :

– مكنتش متوقعة ان الماضي كله هيجيلي هنا أصلاً مكنتش اعرف ان طنط منى ساكنة هنا حسة ان كل اللي هربت منه رجع تاني ليا

حيرها أكثر ذلك الحديث ونظرت لها بعدم استيعاب وقالت :

– أنا كدة مش فاهمة حاجة اي علاقتك بالست منى دي واللي نزلو م العربية دول انتي تعرفيهم منين؟

– اللي نزل م العربية دة كان طليقي واللي معاه أخته ووالدته

* * *

جلس الجميع في ذلك المنزل الصغير الذي يحتوي كل من يأتي إليه فعلى الرغم من كبر منزل أسامة إلا أن منزل خالته هو المنزل الذي يحتوي قلبه وعقله يتسع لجميع الأحبة فلقد بُني على الحب من الأساس، تزوجت السيدة منى بذلك الموظف الحكومي المتوسط الحال، أسساه على الكثير من الحب والصبر وحتى بعد وفاة زوجها لم تترك هذا المنزل، وعندما انتقل أسامة لمنزله الكبير الحالي حاول أن يطلب منها تعيش معه ولكنها رفضت ذلك وقالت أن منزل الحاج سليمان المغربي لن يُغلق أبداً مهما مر الزمن.

وها يصبح هذا المنزل المكان المفضل لأسامة عندما يشعر بالضيق وعندما تشعر السيدة أمل بأنها تريد أحد لتشكو له همومها لا تجد غيره يحتويها، واليوم عندما جاءت المناسبة المفرحة لمنزل أسامة جاء أهل هذا المنزل ليسعدوا ويفرحوا معاً بمنزل السيدة منى أيضاً.

ابتسمت وهي تنظر حولها قائلة :

– مهما عدى ع البيت دة من سنين هيفضل زي ما هو عامل زي بيت العز كدة

قال وهو يربت على يد والدته :

– معاكي حق يا ماما بس احنا جيين لخالتو ف موضوع مهم بقا لازم نفرحها

بسطت كف يدها وابتسمت قائلة :

– خير يا أسامة ؟

– حددنا معاد جواز إيمان الخميس اللي بعد الجاي إن شاء الله

ضحكت قائلة :

– اللهم صل ع النبي بجد تعالي يا إيمي ف حضني تعالي

احتضنت خالتها قائلة :

– الفرحة متكملش إلا بيكي يا حبيبتي

– معقولة البت الأوزعة اللي كانت بتجري وتلعب هنا هتتجوز أخيراً بتكبرونا أوي يا عيال

أشارت بإصبعها وكأنها تذكرت شيئاً للتو :

– بمناسبة اللعب يا خالتو أومال فين حازم؟

نظرت للأرض ثم قصت عليهم قصة ولدها حازم منذ البداية ثم قالت :

– بس الحمد لله شهد الله يباركلها ساعدته وخلته يروح مصحة كويسة أوي

نظرت باندهاش قائلة :

– شهد مين؟!

هنا نظرت لأسامة متسائلة :

– انت مقلتلهمش؟

تنحنح قليلاً وبدأ يتعرق ثم قال :

– ل ... لا

قالت بتحفز :

– اوعي تكون شهد اللي ف بالي يا منى

– هي يا أمل

وقفت من مجلسها قائلة :

– شفتيها فين يا خالتو

– هي ساكنة قدامي هنا يا بنتي

– طب بعد اذنكو هروحلها

هنا وقف أسامة وبدا عليه القلق وقال :

– إيمان هتروحي تعملي ايه اللي فات فات خلاص

ابتسمت بخبث قائلة :

– اتطمن مش هعمل حاجة أنا بس عاوزاها ف موضوع كدة وسبحان الله كانت على بالي وجت قدامي أنا رايحة عن اذنكو

* * *

ظلت تسترسل في الحديث مع صديقتها إلى أن سمعتا جرس المنزل، ذهبت شهد لترتدي شيئاً ما على رأسها بينما قامت دعاء لتفتح باب المنزل لتجد فتاة في منتصف العشرينات تسألها :

– هو دة بيت شهد؟

ردت بابتسامة :

– أيوة بس مين حضرتك؟

– انتي بس قوليلها إيمان وهي هتعرف

– طب اتفضلي اقعدي وهي جاية علطول أهو

خرجت شهد من غرفتها ووصلت لبهو المنزل لتجد إيمان أمامها، وقفت للحظات عقلها لا يعمل ولم تستطع الحراك، ولكنها أخرجتها من دهشتها بقولها :

– ازيك يا شهد

بدأت بتشبيك أصابع يدها ولكنها ردت التحية :

– أهلاً يا إيمان نورتي اتفضلي اقعدي

– أنا عارفة انك مستغربة من وجودي هنا بس الصراحة كان لازم اجيلك

ابتسمت شهد قائلة :

– انتي تنوريني ف أي وقت يعجبك

قامت من مجلسها فهي شعرت أن وجودها الآن غير مرغوب فيه فقالت :

– تشربي ايه يا إيمان ولا أقولك أنا هجيبلك حاجة حلوة أوي شهد عملاها عن اذنكو

تنحنحت قليلاً ثم بدأت بالحديث :

– شهد انتي تعرفي اني هتجوز قريب؟

ابتسمت ابتسامة واسعة وقالت :

– ما شاء الله ألف مبروك مين العريس بقا؟

– أيمن

– دة أحلى خبر سمعته ف حياتي ما شاء الله أيمن محترم أوي ويستاهلك يا إيمي

تلاشت ابتسامة إيمان وهي تقول :

– بس أنا خايفة يا شهد زمان أنا اللي حكيت لأسامة ع اللي حصل ف بيتنا يعني أنا السبب ف انفصالكو يعتبر والنهاردة وانا بتجوز حسة بالخوف ان يحصل أي غلطة وحد يتسبب ف انفصالنا كنتي دايما على بالي يا شهد من ساعة ما اتخطبت

تنهدت ثم قالت :

– إيمان أنا لما سبت بيت ماما الله يرحمها وجيت هنا

قاطعتها قائلة :

– طنط سعاد اتوفت؟!

– أيوة يا إيمان

احتضنتها بقوة وقالت :

– أنا عارفة العلاقة بينكو كانت ازاي الله يرحمها والله كنت بحبها رغم أي حاجة

– مكانش حد يقدر يكرهها الله يرحمها المهم يعني إني من يوم ما جيت هنا وانا قررت أنسى كل اللي فات وابدأ من جديد ومعنديش أي مانع لو بدأت معاكي من جديد يا إيمي بعيد عن أي ماضي تأكدي إني مش شايلة حاجة ف قلبي من ناحيتك وبتمنالك الجواز السعيد يا رب طول العمر

ابتسمت إيمان ولم ترد فالذي يتردد على مسامعها من شهد الآن لم يكن بينهما قبل ذلك بل على العكس تماماً ولكنها فرحت بما سمعته للتو فعلى الأقل شعورها بالذنب بدأ يتلاشى الآن.

جاءت دعاء بطبق من (cheese cake) أعدته شهد قبلاً مما جعل إيمان تبتسم ابتسامة واسعة وتقول :

– هو دة بقا ال (cheese cake) اللي أسامة كان بيحكيلي عنه علطول دة لو عرف هييجي جري كان بيحبه من ايدك أوي

ضحك الجميع على ما قالته إيمان ثم قالت شهد :

– طب حيث كدة بقا أنا هبعت معاكي حاجة حلوة عشان طنط منى وطنط أمل كمان

باركت لها شهد مرة أخرى على الزواج وودعتها إيمان بحرارة فهي لم تفكر يرماً أن شهد ستستقبلها بابتسامة مثلما فعلت دائما كانت خائفة من هذا اللقاء واعتقدت أنه سيسفر عن ضيق شهد مما فعلته معها من قبل ولكنها وجدت العكس ووجدت حقيقة لم تكن تعرفها عنها قبلاً. تركتها وعادت مرة أخرة لمنزل خالتها وعلى وجهها ابتسامة رضا وتناولت الحلوى مع الجميع.

* * *

عاد إلى منزله ودخل غرفته على الفور قائلاً لأمه وأخته أنه متعب للغاية، ولكن بمجرد أم استلقى على الفراش لم يأته النوم أبداً، بل أتى على ذاكرته شيئاً آخر، ابتسم قليلاً حين سمعها تقول :

– هتفضل مخاصمني كدة كتير ... انت وحشتني على فكرة

نظر لها وعيناه مليئة بالشوق :

– يعني ينفع اللي حصل ف عيد جوازنا دة ابقا عازم ماما وإيمان عشان يحتفلو معانا ونعملك مفاجأة تقومي واخداني على جنب ومعلية صوتك وتقولي كنت عايزة نبقا أنا وانت لوحدنا ميصحش كدة يا شهد

– أنا فعلا كنت عملالك مفاجأة لوحدك بس انت صدمتني المسامح كريم بقا يا حبيبي

تنهد وصمت قليلاً ثم قال :

– ماشي يا ستي كفاية زعل ف عيد جوازنا بقا وخصوصاً انه أول عيد جواز لينا

ابتسمت قائلة :

– طب يلا أنا عملالك الحاجة الحلوة اللي بتحبها

ذهبت وأتت بالحلوى ثم بدأت تضعها في فمه وهو يبتسم ويقبل يدها قائلاً :

– تسلم ايدك يا حبيبتي اعمل ايه مقدرش ابعد عنك

– ولا أنا يا عمري

ظل يبتسم لنفسه كثيراً إلى أن سمع صوت ضحكة عالية تأتي من جانب فراشه، نظر لها بفزع قائلاً :

– يا بت مش تخبطي أو تتنحنحي كدة

ظلت تضحك وهي تقول :

– يووووه خبطت كتير واتنحنحت أكتر وف الآخر شفتك بتضحك كدة لنفسك انت سخن ولا حاجة يا سمسمتي ولا بتفكر ف حد كدة كلت من ايده النهاردة

نظر لها بجدية قائلاً :

– إيماااان انتي عايزة مني ايه؟

– كنت جاية اكلمك عنها اتغيرت أوي عن زمان

شرد قليلاً وهو يقول :

– زي ما يكون بقت واحدة تانية اتبدلت تماماً بس برضو مش ف عنيها فرحة زمان اكيد اللي حصلها نساها الفرحة تبقا ازاي

بسطت كف يدها قائلة :

– هو ايه اللي حصلها ؟

قال وكأنه استفاق للتو :

– بت يا إيمان روحي نامي وسبيني انتي لما بتقرريني مبعرفش أقف وبحكي كل اللي ف قلبي

ضحكت بصوت عال ثانية :

– خلاااص مش هقررك المرة دي بس مع وعد بلقاء آخر يا حلو يلا تصبح على خير

– وانتي من أهله يا حبيبتي

* * *

يأتي صوت أحد أفلام الزمن الجميل من التلفاز في المنزل، بينما جلستا الفتاتان أمامه وتضحكان على طرائف إسماعيل يس ولكن صوت التلفاز يغطي عليه دائماً صوت حديث الفتيات.

سألتها في فضول :

– انتي مكملتيش بقيت الحكاية يا شهد اللي عرفته انك اتجوزتي أسامة وكنتو بتحبو بعض أوي ايه بقا اللي خلاكو تتطلقو

نظرت إلى الأرض ثم أعادت النظر إليها :

– بصي يا دعاء أنا لحد النهاردة مش قادرة أفتح الموضوع دة حتى بيني وبين نفسي بحاول انساه أو بعمل نفسي كأني نسياه الكلام فيه بيوجعني بجد ومش قادرة اتكلم فيه خالص

أومأت برأسها قائلة :

– خلاص يا حبيبتي بلاش نتكلم فيه نتكلم فيا أنا أنا محتاجة هدومي م البيت ضروري بس مش عارفة أروح لوحدي خايفة اروح يضربني تاني

– للدرجة دي هو مرعب؟

أرجعت رأسها للوراء وهي تقول :

– يحيى بعد ما اتخرج من كلية السياسة والاقتصاد واشتغل ف الخارجية وهو بعد عن أهله حتى أمه مخلاهاش تحضر فرحنا عشان الفرح كله ناس م العيار التقيل ولما جت تزورنا ف البيت بعد جوازنا طردها بصنعة لطافة .. يحيى قاسي دايماً وأهم حاجة عنده

مصلحته لكن معايا أنا بحس انه بيحبني بجد بس برضو موثقش فيا وراقبني زي ما يكون من كتر عدم إحساسه باللي حواليه بقا متوقع الضربة تجيله من أقرب الناس ليه

تساءلت بفضول :

– هو انتي أصلاً كنتي راحة تقابلي قريبك دة ليه؟

ابتسمت بسخرية :

– كان جايبلي خبر حلو .. من بعد جوازي أنا ويحيى اكتشفنا انه عنده مشكلة مع الخلفة وكان بيتعالج منها عند دكتور ابن خالتي بيشتغل تحت ايده واليوم دة هيثم اتصل بيه ملقاهوش متاح مقدرش يصبر راح مكلمني أنا ورحت قابلته علطول ولما عرفت ان يحيى بقا كويس والعلاج جاب نتيجة طرت م الفرحة وقلتله انا بحبك أوي طلعت مني عادي من كتر الفرحة .. روحت لقيت الباشا مستنيني وكان بيسجلي تخيلي وعشان أنا وهيثم متربيين مع بعض وواخدين على بعض شوية بقا بيشك فينا

– انتي عارفة جوزك دة عامل زي الطفل اللي عايز بتشد من ودانه

– معاكي حق .. المهم بقا تعالي معايا بكرة ناخد هدومي مع بعض من عنده

أومأت برأسها قائلة :

– ماشي يا ستي هاجي معاكي وأمري لله

* * *

في منتصف الليل يتحول هذا المنزل الكبير إلى منزل مرعب إذا بقي فيه الشخص بمفرده، تشعر وكأنه سيأتي شبح ما ليقتلك ولكنه لا يخشى شيئاً، ظل يتجول في المنزل، ثم يفتح التلفاز قليلاً، ثم يذهب إلى غرفته ويستلقي على فراشه، لا يريد التفكير بتلك الخائنة التي دمرته، كم أحبها وأعطاها كل ما لديه ولكنها خانته بلا شفقة أو رحمة، وقف أمام المرآه يتحسس وجهه.

هل هو مظهره سيئ لتلك الدرجة حتى تخونه مع غيره؟ لا بل على العكس تماماً فهو يبدو أوسم من هذا التافه بكثير. ولكن هناك شيئاً لا يمتلكه ويمتلكه غيره.

فجأت أتت صورتها على ذهنه، الآن فقط عرف أنه يحتاج إليها وأنه لا يستطع حمل الأمر بمفرده، يحتاج لصدرها كي يرتمي فيه ويبكي كثيراً، حدث نفسه قائلاً :

– انت اللي عملت كدة ف نفسك طبيعي لو قسيت على أمك محدش غيرها هيحبك أو يخلصلك اتحمل بقا نتيجة أفعالك يا باشا ياللي داخل على درجة سفير

ارتمى على فراشه، شعر بالألم الشديد فجأة يأتي من معدته، هذا الألم الذي شعر به قبلاً أكثر من مرة ولم يعره اهتمام أتى اليوم ليكمل قصته الحزينة، ظل هكذا حتى

الصباح ثم قام متثاقلاً ليرتدي ثيابه، وعند باب منزله الفخم وقع على الأرض ولم يشعر بشئ بعد ذلك.

****

لن أعود

فتح عينيه ببطء ليجد نفسه على أحد الأسِرَّة بمستشفى ووجد في يده محلولاً، تفاجأ عندما رآها بجانبه تتشبث بيده وتظل تقبلها وتبكي وتدعو له فاضت عيناه بالدموع ثم أطبق يده على يدها قائلاً بوهن :

– أمي

رفعت رأسها إلى وجهه وابتسمت من وسط دموعها ووقفت لتقبل رأسه ووجنتيه قائلة :

– الحمد لله يا حبيبي حمدلة ع السلامة يا يحيى ثواني هجيب دكتور

خرجت من الغرفة لتجد الفتاتان في انتظارها، سألتها الأولى وهي تبكي :

– هو عامل ايه يا ماما

نظرت لها مبتسمة :

– فاق يا بنتي الحمد لله تعالي ادخلي معايا وشوفيه

نظرت إلى الأرض وهي تقول :

– لا يا ماما لو شافني هيتعب أكتر ولو سألك عرفتي منين قوليله انك كنتي رايحة تزوريه لوحدك واسأليه عني كأنك متعرفيش حاجة

طرقت يدها اليسرى باليمنى قائلة :

– لا حول ولا قوة إلا بالله ربنا يسامحك يا يحيى

خرج الطبيب فطلبت منه الأم أن تدخل لترى ابنها بعدما استفاق بينما عادت الزوجة للبكاء مرة أخرى، أمسكت صديقتها بكتفها قائلة :

– دعاء انتي هتفضلي تعيطي كدة يا بنتي مش اتطمنا عليه وعملية الزايدة نجحت واهو فاق أهو الحمد لله

أرجعت رأسها للوراء قائلة :

– بتخيل لو مكناش وصلنا ف الوقت المناسب كان ممكن يحصل ايه ازاي اسيبه كل دة يا شهد منغير حتى ما اروح بحجة هدومي زي النهاردة

– يا بنتي سيبك م التفكير السلبي دة الحمد لله وصلنا ف الوقت المناسب ومحصلش مضاعفات وكويس ان طنط منى قابلتنا ع السلم وجت معانا وإلا مكناش هنعرف نتطمن عليه دلوقتي

أومأت برأسها :

– الحمد لله

أمسكت بتليفونها المحمول أخيراً، وجدته ما زال على الوضع الصامت منذ ليلة البارحة ووجدت عليه الكثير من المكالمات من رئيسها بالعمل مما جعلها تقول بصوت عال :

– يا نهار اسود

فزعت الأخرى وقالت لها :

– مالك يا بنتي في ايه

– مرحتش الشغل ولا اتصلت قلت اني غايبة النهاردة ولا عرفته ان ابن خالته ف المستشفى وكمان لسة سايبة التليفون صامت

ابتسمت رغماً عنها وقالت :

– طب اتصلي بيه يا حلوة واستلقي وعدك بقا

اتصلت به وبمجرد أن سمعت صوته أبعدت الهاتف عن أذنيها بسبب صوته العال المزعج ثم اضطرت لتضعها مرة أخرى وقالت :

– اهدى شوية وافهم ايه اللي حصل معايا م الصبح أقولك تعالى مستشفى الأمل وانت تعرف كل حاجة

هدأ قليلاً ثم قال بصوت يملأه القلق :

– حصلك حاجة

– مش أنا هو ابن خالتك يحيى عمل عملية الزايدة النهاردة

وقف من مجلسه قائلاً :

– طيب أنا جاي حالاً

* * *

في المساء تجمعت الأسرة حول فراشه وجاءت السيدة أمل وابنتها أيضاً ليطمئنوا عليه، سلمت إيمان على شهد بحرارة بينما وقفت شهد متفاجئة بعض الشئ لرؤيتها أمامها، سلمت على ابن أختها وقبلت رأسه بحنان قائلة :

– الف حمدلة ع السلامة يا حبيبي

ابتسم قائلاً :

– الله يسلمك يا خالتو

ثم اقتربت منها وأمسكت يدها قائلة :

– وحشتيني يا شهد

لم تنتظر طويلاً حتى تبكي وتحتضنها بقوة وكأنها فجأة رأت والدتها أمامها، ظلت تبكي فقط لا تفعل شيئاً آخر حتى اندهش الجميع من ذلك وخاصة أسامة، احتضنتها الأم بقوة حتى فرغت من بكائها وقالت :

– أنا آسفة يا جماعة معلش بس والله هي كمان وحشاني جداً

ابتسم قائلاً :

– أنا امبارح بس كنت بقول ان معادش ليا حد حتى أمي زعلتها مني لكن النهاردة وانتو كلكو معايا حاسس ان ربنا عوضني بيكو سامحوني يا جماعة أنا إن شاء الله عمري ما هعمل اللي عملته دة تاني أبداً

ابتسم الجميع ولكنها هي من تكلمت :

– رغم ان احنا مانعرفش بعض كويس وبرضو انت مشفتنيش غير يوم فرحي إلا إني عايزة أقولك حاجة

نظر لها باندهاش قائلاً :

– اتفضلي

– في حد مستني برا كان هيموت م القلق عليك وقعد يعيط طول النهار ودلوقتي هو نايم ع الكرسي قدام الباب حتى أنا خدتله صورة تذكارية. اتفرج كدة

نظر للصورة ثم التفت بوجهه لناحية أخرى قائلاً :

– انتو تعرفو بعض بقا ماهي الطيور على أشكالها تقع

صمتت ثم ذهبت في طريقها لباب الغرفة دون كلمة واحدة ولكنها استوقفتها قائلة:

– لا يابني شهد محترمة وبنت حلال وعيب أوي اللي انت بتقوله دة غير ان انت غلطان ف حق دعاء كمان بس عشان تعرف انت غلطان ازاي لازم نعمل مكالمة تليفون، هاتي يا شهد الرقم اللي خدتيه من موبايل دعاء وهي نايمة

أمسكت بهاتف السيدة منى ووضعت الرقم به ثم ضغطت على زر الاتصال وخرجت مسرعة من الغرفة دون أي كلمة

خرج ورائها وظلت هي تمشي بسرعة أمامه حتى وصلت لخارج المستشفى وهو يحاول اللحاق بها ثم هتف قائلاً :

– شهد حرام عليكي أنا تعبت

نظرت ورائها لتجده واقفاً يلهث حاولت تصنع القوة وعادت لتقف في مواجهته وقالت:

– انت مشيت ورايا ليه كان لازم تفضل مع عيلتك

سألها بجدية :

– أنا مفهمتش هو كان يقصد ايه بس واضح انه قال حاجة ميصحش تتقال. هو كان يقصد ايه؟

– ولا حاجة كبر دماغك

– اكبرها ازاي يعني انتي عارفة اني مش بحب حد يدوسلك على طرف وبعدين فين لسانك الطويل انتي اتغيرتي كدة ليه؟

ابتسمت قائلة :

– متقلقش انا بس متكلمتش عشان هو لسة خارج من عملية لكن والله ما هعديهاله

ضحك قائلاً :

– ايوة كدة هو دة اللي أنا عايزه

– ارجع بقا للجماعة وسيبك مني

وضع يده على خصره قائلاً :

– ماشي بس بطلي عياط انتي ايه يا بنتي حنفية مبتقفلش

ضحكت قليلاً قائلة :

– حاجة زي كدة بس هبطل حاضر

تركها وذهب وأكملت هي طريقها للمنزل ولكنها لم تبكِ بل على العكس ظلت تبتسم لنفسها، تعرفه وتعرف حنانه واحترامه لمن حوله تحبه ولكنها لا تستطع الرجوع إليه فمثلما قال هي تغيرت وتخشى عندما تعود إليه أن تعود لذاتها القديمة التي تكرهها الآن، ولكنها أحبت ما فعله اليوم وتحب ما يفعله دوماً فحبها له لن ينتهِ حتى لو لم تعد له مرة أخرى.

* * *

بعد مرور أسبوعان ....

اقتربت الساعة من السادسة مساءً وكالعادة تجلس هي وصديقتها أمام التلفاز، نظرت شهد لساعتها فهي تعرف أن موعد قدومه قد اقترب فهو يأتي منذ اسبوع كل يوم إلى منزلها يحاول اللقاء بزوجته ولكنه يفشل فكل مرة تنزوي بغرفتها عندما يأتي ولا تخرج منها إلا عندما يذهب.

ها قد طرق الباب وذهبت هي لغرفتها، بينما ابتسمت شهد التي حضرت وشاحها استعداداً لقدومه، قامت من مجلسها وفتحت الباب لتجده أمامها يقول بيأس :

– برضو مش عايزة تقابلني

أومأت برأسها قائلة :

– فعلا هي مش عايزة تقابلك يا يحيى

– طب قوليلي أعمل ايه عشان ترجعلي؟

وضعت يدها على موضع اللحية قائلة :

– ولو اني مش طايقاك بس يلا كله بثوابه هقولك على حاجة نعملها يمكن تجيب نتيجة.

ابتسم بحماس قائلاً :

– سامحيني يا شهد عشان خاطري وقوليلي اعمل ايه

– هقولك

خرجت من غرفتها بعدما سمعت الباب يُغلق وسألت :

– ايه مشي؟

أخذت نفساً عميقاً قائلة :

– أيوة يا ستي مشي تعالي يا دودو نرغي شوية

– أنا عارفة انتي عايزة تقولي ايه اكيد عايزاني أسامحه بس أنا مش قادرة يا شهد

أمسكت بيديها قائلة :

– أنا مش هقولك كدة دي ف الآخر حياتك وانتي حرة فيها بس للأمانة أنا عايزة اوضحلك حاجة

– خير؟

– كلنا عندنا مشاكل نفسية محدش كامل من مجاميعه يا دعاء كلنا بنغلط وبنعمل مشاكل يا حبيبتي ولو كل واحد مسامحش التاني هتبقا الحياة صعبة أوي انتي مثلاً مفيش فيكي عيوب؟

نظرت لها ولم ترد لفترة وجيزة ثم قالت :

– أكيد عندي عيوب بس مش بتأذي حد يا شهد

أومأت برأسها بالإيجاب قائلة :

– والكابتن جوزك عنده عيوب برضو أي نعم هي مؤذية شوية بس أهو بدأ يتغير ولو انتي شاطرة حاولي تساعديه مش تقفي ف وشه كدة فعلا هيكره نفسه واللي حواليه تاني انتي الوحيدة اللي حبها بجد وفضلها حتى عن أمه وعشان كدة انتي الوحيدة اللي ممكن تساعديه انه يتغير أنا كمان غلطت زمان يا دعاء بس لقيت اللي يسامحني الحمد لله عشان خاطري يا دودو فكري ف الموضوع

ابتسمت قائلة :

– هحاول افكر ف كلامك

* * *

حل مساء اليوم التالي وفي هذا اليوم قررت شهد أن تذهب في نزهة مع صديقتها وخرجتا معاً ووصلتا لذلك المكان الذي به بعض المراكب وكان يتنظرهما رجلان.

نظر الأول إليها بلهفة وابتسامة حمقاء وأخيراً رآها بعد فترة طويلة من الفراق شعر وكأنه التقى بروحه التي هربت منه في مكان ما فهي مالكة قلبه بلا منازع وحبيبته الأولى والاخيرة، بينما وقف الآخر مبتسماً ابتسامة مصطنعة فهذا المكان تحديداً هو أكثر مكان محبب إليهما وكلما عصفت الحياة بهما وجعلتهما يقسوان على بعضهما البعض كانت مركب صغيرة في النيل تعيد إليهما الحب والبهجة سريعاً، وقف ينظر إليها وتنظر إليه وعيناهما تفصحان عن كل شئ.

نظرت إليها بعتاب قائلة :

– انتي متفقة معاه بقا

ابتسمت قائلة :

– متزعليش مني دة غير انه هيموت ويرجعلك شايفة ابتسامته العبيطة دي أول ما شافك؟

– ماهو دة اللي مصبرني عليه

– طب يلا روحيله واطلعو المركب سوا وحاولو تصفو كل حاجة النهاردة يلا يا دودو الفرصة الحلوة متضيعيهاش

دخل الزوجان المركب وبدأت رحلتهما أما أسامة وشهد فوقفا ينظران للنيل ولا يتحدثان مطلقاً ولكنه بادرها قائلاً :

– اقتراحك كان مناسب جداً لحالتهم فعلاً مكان زي دة ممكن يهدي أعصابها ويساعدها تتناقش معاه وتحل اللي بينهم

ابتسمت قائلة :

– دة مش اقتراحي أنا بس غشيته منك

أخذ نفساً عميقاً وهو يقول :

– ساعات بندم اني سبتك وساعات بحس انه كان ضروري ماما ساعات بتطلب مني ارجعلك لكن أنا مش عارف يا شهد اذا كنت هرجع لشخصيتي القديمة اللي بكرهها ولا لأ

– كأنك بتوصف احساسي بالظبط أنا برضو مش عارفة لو رجعتلك هرجع شهد القديمة اللي بكرهها ولا لأ

نظر لها بحب قائلاً :

– المشكلة ان روحنا واحدة أفكارنا شبه بعض لايقين على بعض بس ... بس أنا بقيت خايف ومينفعش افكر أرجع وانا خايف

بدأت تتساقط الدموع من عينيها :

– أنا كمان خايفة يا أسامة ومش هقدر ارجع للماضي دلوقتي لكن خلينا اصحاب زي ما احنا وسيب الأيام هي اللي تفصل ف حكايتنا

– معاكي حق

نظرت له شهد وسألته محاولة تغيير هذا الموضوع :

– أسامة أنا في حاجة هموت واعرفها بس متزعلش يعني اني بسأل

– قولي وانا عمري ما هزعل منك

نظرت له في فضول قائلة :

– شركة الإلكترونيات اللي فتحتها عملت راس مالها ازاي على حد علمي احنا كنا بنحوش مع بعض زمان وبيتنا كان عادي وقريب من بيت ماما ايه بقا الحكاية؟

ابتسم قائلاً:

– انتي عارفة ان بابا كان شغال ف شركة كويسة أوي وحالنا كان ميسور قبل ما يطلع معاش الله يرحمه أثناء شغله كان كل ما يبقى معاه فلوس زيادة أو مكافآت كان يجيب لماما دهب وهي مرضتش تتصرف فيه فضلت شايلاه وقالت لجواز إيمان لكن لما قررت أفتح شركة ومكانش معايا رأس مال ادتني دهبها كله وساعدتني برأس المال والحمد لله بفضله حصل كل اللي انتي شايفاه دة

– ربنا يخليهالك ويخليك ليها يا أسامة

انتهى هذا اليوم بصلح الزوجان يحيى ودعاء وعادا لمنزلهما معاً بينما عادت شهد لمنزلها بعدما أوصلها أسامة وقبل أن تخرج من السيارة سألها أسامة :

– شهد أنا كمان عايز اعرف حاجة ممكن؟

– اتفضل

نظر لها بحزن وجدية قائلاً :

– طنط سعاد الله يرحمها اتوفت وهي راضية عني؟

ابتسمت ولكن دموعها ملأت عيناها وقالت :

– كانت راضية عنك تمام الرضا وبتدعيلك كمان دي أمي يعني كان لازم تعرف سبب طلاقي منك عاجلاً أم آجلاً متقلقش ... عن اذنك بقا

خرجت من سيارته وهرعت لمنزلها وعندما دخلت أطلقت العنان لدموعها فعندما تتذكر والدتها لا تستطع السيطرة على مشاعرها هي الوحيدة التي عرفتها جيداً وتعرف ما تشعر به وما تبوح به وما لا تبوح به هي أمها وأبيها وصديقتها وأختها وكانت كل شئ لها في هذا العالم ظلت تنظر لصورتها وتبكي فقط حتى غلبها النعاس على إحدى الأرائك.

* * *

في أحد الفنادق ال ٥ نجوم وقف هذا الرجل في إحدى غرفاته نظر حوله ثم نظر إلى نفسه في المرآة وظل يتفحص هيأته فهو اليوم منمق وحلته الرائعة تضفي عليه جمالاً وبهاءً ظل يفتخر بنفسه كونه وسيماً، لم يرتدي نظارته اليوم كيف سيرتديها يوم عرسه؟ نظر إلى حذائه وتذكر ذلك اليوم الذي عاد فيه من المدرسة الإعدادية ووقف أمام المرآه ليجد ذلك الحذاء البالي الذي لم يعد يصلح للسير ولكنه لا يستطع شراء غيره ونظر إلى حذائه وهيئته اليوم وهو أنيق بهذا الشكل وحذائه رائع وسيتزوج من أخت شخص صار غنياً الآن، نظر في المرآه لنفسه بإصرار وكأنه يعد نفسه أن يظل هكذا ولا يعد للفقر مرة أخرى ثم استفاق من شروده على صوت طرقات الباب وشخص ما يطلب منه أن ينزل لقاعة الزفاف الخاصة بالفندق حيث أن عروسه تنتظره.

صفق الجميع عندما دخل العريس ثم دخلت العروس في يد أخيها ليسلمها لزوجها وبدأت رقصة على أغنية (كل حياتي) لعمرو دياب.

جلست تشاهد الرقصة وهي تتذكر تلك المقابلة الأولى بينهما في زواج إحدى صديقاتها سلمت عليه بعدما عرفتهما العروس على بعضهما البعض فهو كان أعز أصدقاء زوجها، عرفت في ذلك اليوم أيضاً أنه يعرفها حيث رآها في جامعتها أكثر من مرة هو يدرس بكلية التجارة ولكنه وقتها كان بالسنة الأخيرة وهي بالسنة الأولى، قال لها أنه تمنى الحديث معها وقتها ولكنه خاف من ردة فعلها وطلب منها بتلقائية وبدون مقدمات أن يتقدم لخطبتها فهو لا يحب إلا الدخول من أبواب المنزل وأعجبت هي كثيراً بذلك، فهي لا تريد أن تذهب وتأتي مع رجل ليس من محارمها فقط لأنها تحبه بل تمنت أن تحبه بعد أن يدخل بيتها ويطلب يدها وقد كانت قصة حب رائعة شهدتها خطبتهما وبعد أن تأكدا أنهما لا يستطيعان الاستغناء عن بعضهما البعض تزوجا.

نظرت له نظرة شوق ونظر لها بنفس النظرة وكأنهما كانا يفكران بنفس الشئ معاً ثم ابتسم لها تلك الابتسامة التي وقعت بحبها منذ النظرة الأولى هذا الحب الذي لم يقدر له البقاء! لا تعرف هل قراره كان أحمقاً أم هي من كانت حمقاء؟

* * *

رأتها تضع يدها على رأسها وتمشي بإعياء إلى أن خرجت من قاعة الزفاف خرجت ورائها قلقة وجدتها جالسة عل إحدى الأرائك الموجودة خارج القاعة ذهبت إليها في قلق جلست أمامها على الأرض وأمسكت يديها قائلة :

– مالك يا طنط أمل حضرتك كويسة

نظرت لها بابتسامة واهنة :

– الحمد لله يا شهد أنا كويسة

أخرجت من حقيبة يدها قطعة من الشيكولاتة أعطتها لها وقالت :

– اتفضلي يا طنط كلي دي

نظرت لها بدهشة وهي تقول في نفسها : كيف عرفت ما أحتاجه الآن؟ أكلتها ثم أعادت النظر لها قائلة :

– انتي عرفتي منين يا شهد اني محتاجة حاجة مسكرة دلوقتي؟

قالت لها وكأنها تداعب طفلة صغيرة :

– عشان كنت اعرف واحدة زيك مبتسمعش الكلام ومبتاخدش دوا السكر ولما كانت تدوخ كدة كنت اديها شكولاتة

نظرت لها بحزن قائلة :

– أكيد دي سعاد الله يرحمها

– الله يرحمها، يا طنط انتو غاليين أوي عشان خاطري متهمليش ف صحتك وخلي بالك من الدوا والله محدش بيقدر يعوض وجودكو ف حياتنا

ترقرقت الدموع في عينيها وتحسست وجه شهد بيديها وهي تقول :

– حاضر يا حبيبتي ميرسي أوي يا شهد وأسفة اني عطلتك عن الفرح

– يا طنط انتي مينفعش تتأسفيلي ولا تشكريني طول حياتي أنا اللي آسفة على كل اللي فات وأنا اللي متشكرة انك متقبلاني وبتحبيني زي عادتك

تحسست وجنتي شهد لتمسح دموعها وقالت :

– يا بت بلاش نكد بقا يلا بينا نرجع الفرح

– يلا

كان واقفاً في الخفاء من حيث لا تريانه خشي على أمه عندما شعر أنها متعبة ولكنه اطمأن بوجود شهد معها بكى معهما ثم ضحك معهما وعندما همتا بالرجوع ذهب إلى القاعة مسرعاً قبل أن تراه إحداهما.

أحببت شيطاناً

ذهبت إلى البنك لتضيف بعض النقود على الحساب الذي افتتحاه سوياً منذ عام ولكنها وجدت أنه قد اختفى منه نصف المبلغ بالضبط، سألت الموظف عن الشخص الذي سحب تلك النقود وعرفت أنه هو ومن غيره سيفعل ذلك؟ جن جنونها تريد الصراخ الآن وسط الشارع لا تعرف لماذا فعل هذا بها فهذا المبلغ سيبنى عليه مستقبلهما معاً، لماذا يريد تحطيمها؟ ترى هل يريد الابتعاد عنها؟

تراءى إلى ذهنها كل هذه الأسئلة شعرت أنها تريد أن تذهب إليه وتقتله على فعلتها هذه ولكنها تصنعت الهدوء حين اتصلت به لتستفسر عما فعله ولماذا؟

– الو

– أيوة يا حبيبي

– متقلقش خير ان شاء الله انا بس كنت عايزة اسألك عن الفلوس اللي سحبتها من البنك

– اااااه طيب ماشي

– هستناك . مع السلامة

قلبها الآن في درجة الغليان وحرارتها فوق الأربعين تريد تحطيم العالم تريد تكسير المنزل فوق رأس هذه السيدة التي لطالما أرادت إبعادهما ، ذهبت لها دون تفكير طرقت الباب بقوة إلى أن فتحت ابنتها قائلة :

– بالراحة يا شهد مالك؟

دفعتها حتى كادت أن تقع على الأرض ولكنها تمسكت بإحدى الأرائك بينما دلفت الأخرى إلى حجرة والدتها وبصوت عال وبدون تهذيب قالت :

– انتي عايزة مننا ايه فهميني؟ ليه عايزة تبعديني عنه؟ ليه بتعملي كدة؟ انتي مش هترتاحي غير لما تشوفينا متطلقين

بسطت راحتي يديها وعقدت حاجبيها وقالت :

– جرا ايه يا بنتي لكل دة حصل ايه؟

استمرت في ذلك الحديث دون وعي بكلماتها :

– عاملة نفسك عيانة ولازم تعملي عملية قريب وحركات وكل دة عشان تاخدي الفلوس اللي احنا محوشينها عشان عملية الحقن المجهري وانتي عارفة قد ايه احنا تعبنا ف تحويشها ليه كل دة ليه حرام عليكي.

ترقرقت الدموع في عينيها قائلة :

– حرام عليكي انتي يا بنتي أنا مقدرش افرق بينكو والله ما اعرف ان أسامة عمل كدة

– مهما قلتي مش هصدقك

سمعت الإبنة كل هذا ولم تستطع الوقوف صامتة دلفت إلى الغرفة وظلت تضربها ضربات خفيفة بكتفها وهي تقول بحدة :

– انتي ايه يا شيخة محدش مالي عينك ازاي تكلمي ست كبيرة زي والدتك بالشكل دة الحق على اخويا هو اللي بيسامحك على اي حاجة تعمليها وبالرغم من حبه ومعاملة ماما ليكي بما يرضي الله انتي معندكيش دم ياشيخة كان يوم اسود يوم ما عرفناكي ودخلتي حياتنا.

حاولت الأم إيقاف ابنتها عما تقوله ولكنها أردفت :

– امي مش ممثلة ولا بتكذب وانتي معادش ينفع تدخلي بيتنا تاني اتفضلي اطلعي برا ولو اخويا هيزعل ميدخلش معاكي

لقد هدأت الآن عندما سمعت حديث هذه الفتاة التي ما زالت في العشرين من عمرها أدركت خطأها وعصبيتها والهستيريا التي استحوذت عليها في ذلك الوقت لم تتفوه بكلمة وذهبت دون نقاش مع إيمان مرة أخرى.

استفاقت من شرودها على صوت الهاتف لتجدها تطمئن عليها ، ردت ولم تستطع التخلص من تأثير صوت بكائها وقالت :

– سلام عليكم

أتاها ذلك الصوت الحنون من الجانب الآخر يقول لها :

– مالك يا شهد كنتي قاعدة ف العربية سرحانة كدة ومش مركزة معانا كنا قاعدين نتكلم عن إيمان والفرح وانتي مش هنا خالص انتي كويسة وبعدين حساكي بتعيطي

ابتسمت وهي تبكي ثم قالت :

– انتي يا ست انتي مش مننا مش بشر عادي يعني ليه عمرك ما عاملتيني وحش ولا زعلتي مني ف يوم من الأيام ليه عمرك ما ضربتيني ولا اتخانقتي معايا ايه حكايتك بالظبط يا أمي

ابتسمت وهي تقول :

– الحكاية كلها ان أنا عندي بنت وعمري ما اتمنى ان حماتها تتخانق معاها ولا تضربها وبصراحة انا اعتبرتك بنتي من أول يوم دخلتي فيه بيتنا والأم ممكن تاخد على خاطرها من ولادها لكن متخاصمهمش ولا تيجي عليهم وبعدين يا بت انتي اي اللي

فتح الماضي دلوقتي الله يرحمه بقا سيبيه ف حاله وحاولي تنامي يا بنتي اليوم كان متعب برضو

– ربنا يخليكي ليا يا حبيبتي

– تصبحي على خير يا شهد

* * *

ذهب لمنزل والدته كي يطمئن عليها ويخبرها أنه قد حجز في المستشفى لعمليتها وهنا استقبلته إيمان قبل أن يدخل غرفة والدته وقصت له ما حدث بين والدته وشهد جعله هذا لا يرى أمامه أخبر أخته بموعد العملية ثم انصرف مسرعاً إلى المنزل ليفعل ما فعله ويحطم غرفتهما وعندها اتخذ قرار الطلاق دون أن يعي كم سيتعذب في بعدها وكم سيريد أن يعود إليها مرة أخرى ذكره بكل هذا حديث شهد مع أمه في قاعة الزفاف، قال في نفسه لو كانت العلاقة بينهما هكذا منذ خمس أعوام لما اضطرا لهذا الفراق الذي ليس له نهاية.

أفاق من شروده على صوت والدته تنادي عليه بصوت عال منذ زمن، فزع وهو يقول :

– ايه يا ماما خضتيني

ضحكت وهي تقول :

– دة أنا صوتي اتنبح من كتر ما ناديتك

تنهدت قائلة :

– البيت وحش منغير اختك

اعتدل في جلسته وهو يقول :

– اه والله يا ماما هتوحشني الجزمة

نظرت له نظرة جادة وقالت :

– أسامة انت مش بتفكر في اللي طلبته منك قبل كدة؟

أومأ برأسه بالإيجاب :

– فكرت ولسة بفكر يا أمي مش عارف أرجع ولا هترجع شخصيتي ضعيفة زي الأول يا أمي أنا بحبها وخايف حبي ليها يعميني عن الصح مرة تانية

– طب وانت بتفكر كدة يا حبيبي ابقا افتكر انها اتغيرت أوي وان التجارب الصعبة اللي مرت عليها وهي لوحدها غيرتها للأحسن بقت مش أنانية وبتقدر تفكر ف مصلحة اللي حواليها قبل مصلحتها متنساش مساعدتها لحازم وبعدين يحيى حتى إيمان ساعدتها كتير أوي ف الفرح لو دي كانت شهد بتاعة زمان مكانتش عملت كل دة

ابتسم قائلاً :

– أموت واعرف انتي بتدافعي عنها ليه

قامت من مجلسها دون أن ترد على سؤاله ثم قالت :

– تصبح على خير يا أسامة

لم يعقب على ما فعلته ولكنه رد التحية ثم خلد للنوم

* * *

بعد مرور شهرين ....

استيقظ من نومه نظر لنفسه في المرآه ليجد وجهه أصبح شيئاً آخر غير الذي كان عليه ابتسم ابتسامة تفاؤل نظر إل ملابسه وهندامه وابتسم ثانية ثم غادر الغرفة ليذهب حيث التجمع الذي اعتاد أن يحضره ولا يتفوه بكلمة ولكنه قرر اليوم أن يتحدث عن نفسه وعن قصته التي كادت أن تفقده حياته وحياة كل من حوله لولا أن وضعها الله في طريقه.

وصل إلى التجمع وجلس على كرسي في مواجهة جميع من هم بالمصح ، أشار له الحاج كامل بالتحدث وها قد بدأ برواية قصته :

– النهاردة وبعد ما عدى أكتر من شهرين على علاجي ف المصحة هنا الحمد لله هطلع من هنا بعد أسبوع والنهاردة قررت اني احكيلكو قصتي يمكن متنفعش ف حاجة ويمكن تنفعكو وتساعدكم تتخطو مشاكلكم ، كان عندي ٢٦ سنة وبدأت اشتغل كويس أوي واسمي يتعرف بين الصحفيين ف سن صغير وقعت ف الحب وقررت اتجوز كل اللي اعرفه ف الوقت دة عارض الجوازة دي كلهم قالولي شكلها مش مظبوط وهتتعبك مسمعتش أي حاجة وخدت القرار اني احارب الكل واتجوزها وقتها أمي رضخت للأمر الواقع ووافقت واخويا الكبير اتلهى ف حياته الدبلوماسية ونسانا تقريباً وعشت معاها ٣ سنين وف يوم عرفت بخيانتها ليا ماستعجلتش ف الحكم عليها وحاولت اتأكد أكتر من مرة واتأكدت وقتها مكانش ينفع افضل أعمى كنت هقتلها من كتر الضرب لولا الجيران أنقذوها مني طلقتها وكل واحد راح لحاله .. بس انا مرجعتش لحالي فضلت حاسس اني مغفل ومقدرتش استحمل الدنيا اللي ضاقت عليا هربت هربت زي ما كلكو هربتو ورحتو للمخدرات قراري اني اتجوز واحدة متناسبنيش وقراري اني اضرب مخدرات طبعاً كانو غلط والحمد لله ان ربنا اداني الفرصة اصلحها وان شاء الله كلكو تصلحو قراركو بتعاطي المخدرات بقرار التعافي ... شكرا انكو سمعتوني وآسف ع الإطالة.

ابتسم الجميع لما قاله وبدأ التصفيق منهم جميعاً بينما قام الحاج كامل من مجلسه واحتضنه بقوة قائلاً :

– لما تمشي من هنا ان شاء الله مش عايز اشوف وشك هنا تاني

قال بإصرار :

– عمرك ما هتشوفني هنا تاني غير للزيارة أو التطوع بأي حاجة محتاجينها مني

* * *

ذهبت إلى مدخل الشركة لتجده أمامها يستقبلها فهو منتظرها على أحر من الجمر وقف أمامها قائلاً :

– صباح الخير يا أستاذة شهد

ابتسمت قائلة :

– صباح النور يا علي ازيك انت مش ف المكتب ليه؟

بدأ يمسح حبات العرق التي على جبينه وهو يقول :

– كنت عايز اسألك عن رأيك ف الموضوع اللي كلمتك فيه امبارح

صمتت قليلاً ثم قالت :

– أنا محتاجة وقت طويل للتفكير يا علي فكرة الارتباط مرة تانية مكانتش واردة ف دماغي أصلاً لكن انا هفكر ف الموضوع ف اديني وقتي ومتستعجلش

أخذ نفساً عميقاً ثم قال :

– حاضر اوعدك اني مش هستعجلك

دخلا معاً إلى مكتب الحسابات ودخلت مكتبها بعد أن سلمت على الجميع وبدأت تفحص المستندات التي أمامها، ظلت تفتح جميع المستندات ثم تدخل على الانترنت إلى أن هبت واقفة وقالت :

– لاااا الموضوع دة معادش ينفع يتسكت عليه

خرجت بعصبية من المكتب والجميع لاحظ ذلك سألها أحد موظفي المكتب :

– مالك يا أستاذة شهد حصل ايه؟

ردت بعصبية :

– مفيش يا مجدي أنا من زمان شايفة حاجات مش مظبوطة بس الموضوع زاد أوي عن حده أنا رايحة للأستاذ اسامة والأستاذ أيمن واشوف ايه الحكاية دي

وصلت إلى المكتب وبعد أن استأذنت للدخول دخلت لتجد أيمن ولم تجد أسامة فقد كان ما زال بالمنزل حاول أيمن المزاح قليلاً ولكنها كانت جادة بما يكفي لتجعله يكف عن مزاحه ثم قالت :

– بقولك ايه كفاية ضحك كدة وأعرني انتباهك

عدل من موضع نظارته قائلاً :

– مالك يا شهد فيه ايه داخلة بزعابيبك ليه كدة؟

تنحنحت قليلاً ثم قالت :

– دلوقتي المستندات دي بتثبت اننا بنستورد بالمبلغ اللي قدامك لكن المبلغ الفعلي للأجهزة واللي هو ف الورق دة أقل بكتير من اللي احنا بنشتري بيه كدة يبقا العيب يا من موظفين الحسابات ف شركتنا أو من الشركات اللي انتو بتتعاملو معاها

نظر لها نظرة جادة وهو يقول :

– انتي شفتي الكلام دة قبل كدة بيحصل ف الشركة

أومأت بالإيجاب :

– شفته بس كان بيبقا الفرق مش كبير فقلت يمكن الشركات اللي بتتعاملو معاها تكون بتغلي عليكم في السعر لكن اليومين دول الموضوع كبر أوي وبقا الفرق ف الأسعار كبير جداً

– لا معاكي حق لازم نشوف الموضوع دة

ثم زفر بقوة قائلاً :

– يييييه هترجعوني للحسابات تاااااني

ابتسمت قائلة :

– معلش يا باشا معلش يا فندم حضرتك زي شريك ف الشركة برضو

قام من مجلسه ووضع يده على لحيته في حركة توعد :

– ماشي يا شهد اما وريتك

قطع هذا المزاح اتصالاً جاء إلى هاتف شهد لترد عليه مبتسمة وهي يقول :

– حاضر يا ستي جية بعد الشغل علطول ... سلام

نظرت إليه مبتسمة وهي يقول :

– علاء ودعاء عازمين العيلة كلها ع الغدا عشان دعاء حامل

– أخبار بايتة علاء كلمني امبارح بس أنا مش هقدر اروح

بسطت كف يدها قائلة :

– ليه؟

– عازم إيمي ع العشا

ابتسمت قائلة :

– أيوة يا عم ربنا يهني سعيد بسعيدة

– يااااااااااااارب

– اوك عن اذنك بقا

* * *

مرت الساعات وانتهت ساعات العمل إلا من ملف كان على شهد أن توقعه وقف أحد موظفي الحسابات أمامها وهي تحزم حقيبة يدها وطلب منها التوقيع فقالت له في عجالة :

– يا مجدي قلتلك سيبهولي ع المكتب وبكرة الصبح همضيه

– طب ما تمضيه دلوقتي يا استاذة دة مش هياخد منك ثواني

زفرت بقوة قائلة :

– هات عطلتني هتضرب بسببك هتأخر على الناس اللي مستنييني

اجتمعت العائلة ومعهم شهد في ذلك المنزل الذي كان من قبل ليس به أي حياة وأصبح الآن به الكثير من الناس يضحكون ويتسامرون وينشرون الدفء في ذلك المنزل الذي كان فارغاً، هنأ الجميع دعاء وفرحت بوجودهم معها وأخيراً شعرت أن لها عائلة تشاركهم أفراحها وأحزانها وشعرت بتغير يحيى لأفضل حال فهذا الشاب الوحيد البائس أصبح الآن شخص مرح يحب التواصل مع من يحب،

قال بابتسامة واسعة :

– أنا فرحان أوي بوجودكم معايا يا جماعة بجد وجود اللي بتحبهم بيفرق

ربتت على كتفه قائلة :

– ربنا ما يبعد عنك اللي بتحبهم أبداً يا يحيى

– ولا يحرمني منك يا أمي

عقدت حاجبيها قائلة :

– احنا ناقصنا ف القعدة دي إيمان مجتش هي وأيمن ليه؟

قال بتذمر وهو يداعب خصلات شعره :

– من ساعة ما اتجوزها وهو خدها مننا مبقيناش عارفين نشوفها بس كل ما نكلمها نلاقيها مبسوطة ودة اللي مصبرنا

دعا الجميع لها بالسعادة الدائمة وبعدما فرغ الجميع من وجبة الغداء جلسن السيدات في شرفة المنزل يتحدثن ويتسامرن بينما لم يظل للرجل مكان لذلك ذهبا أسامة ويحيى إلى غرفة المكتب بعدما طلب يحيى منه ذلك.

جلسا وبدا يحيى متردداً في سؤال أسامة ولكنه قال :

– أسامة أنا عايز أسألك سؤال بس متزعلش مني

ابتسم قائلاً :

– ياعم انت تقول اللي انت عايزه منغير ما تتردد انت اخويا

بدأ يحك موضع لحيته وهو يقول :

– هو انت لا سمح الله لاحظت على شهد انها بتعمل حاجة من وراك أو كدة عشان كدة بعدت عنها

هب واقفاً وقال مقتضباً وهو يوجه سبابته في وجهه قائلاً :

– لا بقولك ايه اسأل أي سؤال عني أنا لكن اوعى تقول كلمة عن شهد هي أشرف ست ف الدنيا وبعدين أنا منستش اللي قلته عنها ف المستشفى زمان لما فهمت اللي حصل بينك وبين دعاء بس عديتهالك عشان كنت تعبان ومجروح ف متسوقش فيها بقا

ضحك بصوت عال وهو يقول :

– يا عم ابلع ريقك شوية وبعدين اما انت بتحبها أوي كدة ومش قابل حد يتكلم عنها ومشوفتش منها عيب أخلاقي لا سمح الله يبقا ليه بقا متردد ترجعلها

هدأ قليلاً وجلس على كرسيه بينما أردف يحيى :

– أنا والله نفسي ترجعو لبعض انا ساعات بقول لنفسي ليه كدة دة أسامة المفروض يحمد ربنا على واحدة زي شهد وميسيبهاش أبداً

أخذ نفساً عميقاً وهو يقول :

– تصدق يا يحيى أنا كنت بفكر ف الموضوع دة من كام يوم وبقول امتا هقدر أقاتحها ف الموضوع دة

وضع كف يده على المكتب قائلاً :

– احنا فيها هطلع اندهالك واقعد معاك شوية وبعدين اسيبك تتكلم معاها وتقول كل اللي جواك

ابتسم أسامة دليلاً على موافقته بينما ذهب يحيى لينفذ ما قاله وخرج بالفعل من المكتب ليجد شهد قد أعدت حقيبتها لتذهب فأسرع نحوها قائلاً :

– ايه يا شهد رايحة فين

– عندي مقابلة مع واحدة صحبتي ولازم امشي

وضع يده على موضع لحيته وهو يقول :

– ط .... طب أسامة كان عايزك ف موضوع

– وقت تاني بقا ما احنا بنشوف بعض كتير يلا سلملي عليه

واستأذنت شهد أولاً وخرجت من منزل يحيى بعدما سلمت على الجميع أما أسامة فقد بدا عليه الإحباط بعدما عرف بذهاب شهد فقال له يحيى ليصبره :

– كدة أحسن انت تروحلها بكرة البيت وتقولها كل حاجة حتى تبقو براحتكو

رد أسامة وهو يومئ برأسه في يأس :

– معاك حق

* * *

انتظرت في الشرفة لفترة طويلة إلى أن رأتها تدخل الحي ولكنها وجدتها هائمة تائهة تمشي بلا هدى فقامت من مجلسها وفتحت باب منزلها ظلت تهتف باسمها ولكنها في عالم آخر الآن ولا ترد وتقدمت خطوات نحو منزلها دون أن تلحظ من تناديها إلى أن أمسكت بكتفها فانتفضت من الذعر مما دفع السيدة منى لتقول :

– مالك يا شهد ف ايه؟

تلعثمت وهي تقول :

– م ..... مفيش يا طنط منى

بسطت يديها قائلة :

– حصل حاجة بينك وبين صحبتك؟

أمسكت يديها بقوة وهي تقول :

– بصي يا طنط أنا ف موقف لا أحسد عليه ومش عارفة اتصرف ازاي ومش هقدر اقولك دلوقتي بس ادعيلي لأني مش عارفة هيحصل ايه

عقدت حاجبيها قائلة :

– ايه يا بنتي اللي حصل متقلقينيش

– ارجوكي يا طنط متضغطيش عليا دلوقتي بعد اذنك

دخلت منزلها توضأت وصلت ركعتان لقضاء الحاجة ثم ظلت تجول في شقتها ذهاباً وإياباً لا تعرف ماذا تفعل تشعر أن هناك عاصفة ستحدث غداً ظلت تدعو أن يسترها الله مما سيحدث وأن يحمي جميع من تحبهم تبكي تارة وتدعو تارة أخرى حتى حل الصباح فذهبت للشركة على الفور.

وصلت مكتبها وما إن وصلت طلبت من مجدي ذلك الملف الذي وقعت عليه البارحة فقال أنه أصبح الآن لدى الأستاذ أسامة في مكتبه فذهبت إلى هناك على الفور ودون أن تستأذن دخلت إلى أسامة لتجد أيمن قد قام من مجلسه وخرج من المكتب.

جلست أمامه وبدأت بتشبيك أصابع يدها ثم قالت :

– أسامة أنا في حاجة لازم احكيهالك مهم جداً انك تعرفها امبارح لما رحت اقابل صحبتي شفت أيمن بيقابل مجدي موظف الحسابات وبيديله شيك حاولت اقرب منغير ما احس لاقيت أيمن بيقول لمجدي :

– حلو أوي كدة محدش هيقدر يقف قصادي

ولقيت مجدي بيرد عليه وبيقوله :

– أي خدمة يا أستاذ أيمن كدة صحبتك اللي عاملة فيها شريفة بقت ف خبر كان

ابتسم ابتسامة ساخرة قائلاً :

– لا والله وعايزاني بقا أصدق الكلام دة واصدق ان صاحبي وجوز اختي ممكن يأذيني

ثم ارتفع صوته وهو يقول :

– انتي يا أستاذة ماضية على ورقتين ورقة بالمبلغ الأصلي للأجهزة وورقة تانية بمبلغ وهمي حضرتك خدتيه من الشركة وطبعا زي كل مرة كنتي هتديني الورقة اللي بالمبلغ الوهمي وتضربي الباقي ف جيبك يعني سيادتك مختلسة وعايزة تلبسيها ف أيمن دة لولا ان أيمن جابلي الملف دة الصبح كنت هفضل مخدوع فيكي

ثم ابتسم ساخراً مرة أحرى وهو يقول :

– ههه قال وانا اللي كنت عايز أرجعلك الحمد لله اني موقعتش ف الورطة دي تاني

قامت من مجلسها ووقفت بمواجهته وهي تقول :

– انا مليش دعوة بكل الهبل اللي بتقوله دة لكن عايزة أقولك اني حكيت لأيمن امبارح على موضوع المبالغ الوهمية دة وقالي انه هيتصرف بس هو طلع خطير جداً وللأسف اكتشفت دة متأخر

وضع يده على المكتب بقوة قائلاً :

– خلاصة الكلام يا أستاذة انتي مطرودة من الشركة يا ريت اقدر اطردك من بيتك كنت عملتها

نظرت له بإصرار وهي تقول :

– انا عارفة انه صاحبك ومش هتصدقني أنا وتكدبه هو بس خلي بالك دة ممكن يدمرك ويدمر الشركة دي أرجوك خلي بالك من نفسك

ابتسم ابتسامة ساخرة أخرى قائلاً :

– لا متخافيش واخد بالي كويس أوي وعمري ما هبقا لعبة تاني اتفضلي اطلعي برا الشركة

خرجت وهي تجر أذيال هزيمتها لا تعرف ماذا تفعل لتري أسامة حقيقة هذا الشيطان اللعين الذي يظهر كملاك بوجهه البرئ لقد أحب أسامة وعائلته شيطاناً لم تكن تعرف أنه هكذا ولم تتخيل يوماً أن يضعها في ذلك الموقف، وصلت لمكتب الحسابات وجمعت الأشياء التي تخصها به في صندوق وخرجت والجميع ينظر لها بحزن فالموظفين يحبونها ويرتاحون معها، طلبت من علي الخروج معها خارج مكتب الحسابات وقصت له ما حدث وطلبت منه أن يراقب هذا مجدي اللعين هو الآخر،

قبل حديثها في حزن ولم يستطع الخروج من ساعات العمل ليوصلها فاكتفى بوداعها ونصحه لها بألا تحزن ثم خرجت من الشركة بلا رجعة.

* * *

في مساء ذلك اليوم وفي ذلك المنزل المتوسط الحال بحي الدقي يقف صاحب المنزل في غرفة نومه بمواجهة زوجته وقال لها ببرود شديد :

– بقولك ايه يا بيبي أنا هنقيلك حاجة على ذوقي تلبسيها وتدلعيني كدة بقالنا كتير مدلعناش بعض بس الأول هاتيلي كوباية ماية على ما انقيهولك

نظرت له نظرة تحتقره وخرجت من الحجرة، هو يعرف تلك النظرة جيداً ولكنه قام من مجلسه بالفعل وبدأ يبحث وسط ثيابها عن أحد ملابس النوم ليجد ذلك الدواء بداخل ثيابها وعندما عرف ما هذا الدواء جن جنونه والتفت ليجدها أمامه وبيدها كوب الماء الذي طلبه منها أمسك بيدها الفارغة بقوة وأراها ذلك الدواء قائلا :

– ايه دة

لم ترد عليه فارتفع صوته أكثر وهو يقول :

– ايه اللي انتي بتاخديه دة

أوقع كوب الماء من يدها فانكسر ثم أمسكها من شعرها بقوة تألمت وتأوهت فقال لها بصوت مرتفع جداً :

– لييييه بتعملي فيا كدة ليه مش عايزة تجيبي ولاد مني للدرجادي بتكرهيني؟

تركها فقالت بصوت عال وهي تبكي :

– عشان انت حيوان مش بني آدم الحيوان هو اللي بيعيش بس عشان شهواته هو اللي بيضرب وبيقل أدبه وبيخوفني عامل زي الحيوان المفترس حابسني ف البيت بقالي شهرين ومانعني أزور أهلي وبتعاملني زي الجواري وعايزني أخلف منك اخلف ازاي من واحد بخاف منه؟ أنا عمري ما هعمل كدة أبداً عمري ما هظلم طفل واخلي راجل زيك يكون أبوه

هدأ قليلاً وجلس على الفراش قائلاً:

– الخوف دة ضروري لو مخفتيش هتكرري نفس اللي عملته أمي ف أبويا كانت بتخليه يمشي زي ما هي عايزة وبتعامله زي ما يكون خدام عندها لكن انا راجل والراجل مراته مش هي اللي تمشيه ليه مش عايزة تفهميني وتساعديني ليه

قام من مجلسه وعلا صوته مرة أخرى وهو يقول :

– لييييه

ثم قام بإبراحها ضرباً لم تستطع أن تتفوه بكلمة بعدها ظل يضربها إلى أن فقدت الوعي وهذه هي العادة التي جرت منذ أن تزوجا لقد تخيلت أنها أحبت ملاكاً ولكنه كان شيطاناً بكل المقاييس يضربها إلى أن تفقد الوعي ثم يعود ويحاول إفاقتها مرة أخرى ثم ينام وقد تم له ما أراد لا يعرف أنه لا يُخضعها هكذا ولكنه يحمسها للثورة عليه.

تأكدت أنه غط في النوم ثم قامت من مجلسها ووقفت أمام المرآة التي في بهو المنزل تحسست جسدها الذي يؤلمها من كثرة الكدمات وتحسست وجهها وتحت عينيها اللتان انتفختا من كثرة البكاء، لم تر يوماً هنيئاً مع ذلك المريض النفسي الذي قد انتهى وقت علاجه منذ زمن بعيد تقول في نفسها :

– أنا ايه اللي عملته ف نفسي دة ايه اللي خلاني اقع ف حبه أنا اتعميت ولا ايه خوفي من الجواز كان صح أعمل ايه بس يا رب لازم اتحرر منه لو فضلت قاعدة معاه هتجنن زيه لا لا مش هقدر اكمل، أنا لازم أهرب، بس اروح فين أمي مريضة ولو عرفت هتموت

جلست على أحد الأرائك محبطة ثم وقفت مرة أخرى وقالت بصوت خافت :

– المهم أمشي من هنا وبعدين أفكر

****

وعندها اتخذت قراراً

خرجت من منزلها في المساء لتذهب لصديقتها رغم فرق السن إلا أنها أصبحت صديقتها الأقرب ذهبت لتبثها همها وهي لا تعلم هل ستقابل هذا بالقبول أم بالرفض مثلما فعل هذا الرجل؟ هل ستثق بها أم ستثق بما سمعته من أختها وابن أختها عن ذلك الشيطان؟ توكلت على الله وطرقت الباب وكالعادة استقبلتها السيدة منى بالترحاب الشديد ثم سألتها بعدما دلفت إلى المنزل :

– مش هتقوليلي مالك من امبارح؟

بكت سريعا وارتمت بين أحضانها وقالت :

– مش عارفة أعمل ايه يا طنط منى

ظلت تتحسس شعرها بحنو وهي تقول :

– قوليلي ايه الحكاية وأنا أوعدك اني أساعدك لو قدرت

رفعت رأسها في مواجهتها وبدأت تسرد عليها ما حدث بينها وبين أيمن وما رأته البارحة بينه وبين موظف الحسابات وعن رد فعل أسامة ثم سألتها :

– طنط منى انتي مصدقاني؟

ابتسمت قائلة :

– أيوة يا شهد مصدقاكي بس مش عارفة أنا خايفة على أسامة وإيمان أوي من الحيوان دة وأمل كمان بتحبه زي ابنها

أومأت برأسها في وضع النفي قائلة :

– أنا دماغي هتتشل م التفكير ومش عارفة أعمل ايه محدش هيصدقني يا طنط وانا زيك خايفة على الشركة بتاعة أسامة لا تضيع وعلى إيمان اللي عايشة مع إبليس دة ف بيت واحد

تنهدت قائلة :

– مش عارفة يا شهد ربنا يستر يا حبيبتي أقولك سبيها لله والصباح رباح يمكن بكرة اتصل انا بأمل واحاول احكيلها عن الواد دة

– بلاش يا طنط هتبقا قلقانة زينا وهي حالتها الصحية مش مستحملة أخبار وحشة

أومأت بالإيجاب قائلة :

– معاكي حق يبقا هنسيب الموضوع دة لحد ما نحاول نحله وربنا معانا إن شاء الله

ابتسمت قائلة :

– إن شاء الله

تركتها بعد أن بثت حزنها وعادت لمنزلها ثانية لم تستطع النوم لذا توضأت وصلت ركعتان ثم بدأت تطمئن نفسها بقراءة بعض آيات الذكر الحكيم وغفت على تلك الأريكة وبجانبها المصحف.

علا صوت آذان الفجر وارتفعت معه طرقات باب منزلها مما جعلها تفزع كثيراً، وضعت وشاحها وظلت تسأل من وراء الباب :

– مين ..... مين؟

لم تجد إجابة ولكن ظل الباب يطرق بقوة إلى أن اضطرت لتفتحه وما إن فتحته حتى جحظت عيناها وتفاجأت مما رأته أمامها في تلك الساعة المتأخرة من الليل.

* * *

جاء هذا الصباح الممل بدون عمل فقد كان عملها دائماً ما يشغلها ولكنه الآن لم يعد موجوداً استيقظت بضجر وكسل ثم توجهت للمطبخ لتعد شيئاً للفطور ثم تأخذه للسيدة منى لتقضيا وقتيهما معاً كما جرت العادة منذ أسبوع ولكنها سمعت طرق الباب في تلك اللحظة مما جعلها تنتفض من الخوف ثم ذهبت لتجد من توقعته بالضبط.

كانت خائفة يدق قلبها بسرعة شديدة ولكنها تماسكت وقالت بابتسامة مصطنعة :

– أهلاً يا أيمن اتفضل

عدل من موضع نظارته وقال مبتسماً :

– والله ليكي وحشة يا شهد

– وانت كمان قولي تشرب ايه؟

أشار لها لتجلس وقال :

– قبل بس ما أشرب أي حاجة عايز أقولك سامحيني طلع مجدي هو اللي مختلس وانا ظلمتك معلش يا شهد سامحيني أرجوكي

ازدردت ريقها بصعوبة وقالت :

– محصلش حاجة يا أيمن انت زي أخويا ها تشرب ايه بقا؟

– شاي بعد إذنك

دخلت لتعد الشاي أما هو فكالعادة لم يأت معتذراً بل أتى ليتأكد من شئ ما لذا استغل دخولها للمطبخ ثم دخل إلى غرفة نومها، لم تعطه الأمان ولكنها لم توقفه فهي تعرف أنه لن يصل لغايته هنا إلا أنها رأته يخرج من الغرفة وبيده أحد القمصان الحريمي في يده.

نظر إليها نظرة بغيضة وكأنه وحش سيلتهمها الآن لم تعرف ماذا تفعل ظل قلبها يدق بسرعة شديدة ولا تتفوه بكلمة وقد تسمرت مكانها لا تقوى على شئ وتفكيرها أصيب بالشلل أمسك بزجاجة ماء كانت قد وضتعها أمامها على منضدة السفرة قبل أن تغط في النوم وظل يقترب منها بخطوة وهي تبتعد بخطوة إلى أن ضربها على رأسها فأغشي عليها وهذا ما أراده.

* * *

جلست على فراشها بغرفة صغيرة قد أعدت لها خصيصاً وظلت تفكر بما حدث منذ اسبوع وكيف أنه بعدما غط في النوم وقد تم له ما أراد من ضربها وإهانتها وشعوره بأنه قد سيطر عليها بحثت عن مفتاح المنزل بجيب بنطاله وخرجت متسللة من الغرفة إلى أن وصلت لباب المنزل وخرجت أخيراُ من هذا السجن اللعين.

خرجت وظلت تجول في الشوارع لا تعرف من تقصد فكرت إلى من ستذهب الآن وبدأت تفكر :

– أمي معروف اني مش هروحلها وأسامة لو عرف ممكن يرتكب جريمة ، أي واحدة من صحباتي هو عارفهم كلهم وهيلاقيني ف ثواني

جلست على أحد أرصفة الشارع تفكر بإحباط :

– خالتي زيها زي أمي نفس السن والحالة ... هتعملي ايه يا إيمان؟ ... استحالة ترجعيله تاني استحالة تستسلمي تاني انتي أخيراً خدتي القرار لازم تلاقي الحل بنفسك دلوقتي

فجأة هبت واقفة فقد عرفت إلى أين ستذهب هو أبعد شخص عنها ولكنه الوحيد الذي يمكنها اللجوء إليه.

ذهبت إليها مستعينة بالله وطرقت الباب كثيراً إلى أن فتحت لها الباب فقالت بلهفة:

– ملقتش غيرك يا شهد أرجوكي الحقيني

أدخلتها إلى منزلها بسرعة وأتت لها بكوب من الماء وقالت :

– ايه اللي حصل يا إيمان وخلاكي تسيبي بيتك ف الوقت دة

قالت بسخرية :

– بيتي ... دة مش بيت يا شهد دة سجن أنا كنت مسجونة والنهاردة بس قررت أخرج منه خلاص معدتش قادرة استحمل أمراضه النفسية دي

عقدت حاجبيها قائلة :

– أمراضه النفسية !! فهميني أكتر يا بنتي

قامت من مجلسها ثم أزالت ثيابها لترى ما حل بجسدها من كدمات التعذيب والإهانة لم تستطع رؤية المنظر فأشاحت بوجهها لناحية أخرى وقد بدأت تترقرق الدموع بعينيها وقالت :

– البسي قميصك يا إيمان

ارتدت قميصها ثم قالت :

– أنا ف الهم دة من يوم جوازي منه هو أسبوع واحد حسيت اني معاه ف الجنة وبعد كدة لقيت حد تاني حاجة كدة أسوأ من الوحوش شفت منه المر بس مكنتش بقدر احكي لماما أو أسامة عشان مزعلهمش وخصوصاً ماما وكنت بعمل نفسي سعيدة قدامهم هو عمره ما ضرب وشي عشان عارف اني ممكن أشوف أمي أو أسامة ف أي لحظة ولما سألته بيعمل كدة ليه قالي ان أمه كانت بتتحكم ف أبوه وانه مش عايزني أبقا زيها دة مريض مش طبيعي

أخذتها شهد بين ذراعيها وظلت تربت على ظهرها بلطف وهي تقول :

– الحمد لله انك جيتي هنا يا حبيبتي تعالي ادخلي خدي دش وبعدين اطلعي ونصلي سوا الفجر وربنا ييسر الأمور الصبح بدري كدة هوديكي مكان عمره ما هيقدر يلاقيكي فيه

* * *

حل الصباح الباكر ولم تذق شهد أو إيمان طعم النوم، قامت شهد من مجلسها وأعطتها شيئاً لترتديه ثم قالت لها :

– معلش يا إيمان المكان اللي هتروحيه مش مناسب ليكي أوي بس هو مكان صعب أي حد يوصلك فيه

ردت مقتضبة :

– أي مكان هروح فيه حتى لو المقابر هيكون أحسن من البيت دة

توكلتا على الله ثم ذهبتا إلى ذلك المبنى الأمين والذي يقطنه والد شهد وابن خالة إيمان فهذا ما توصلت إليه شهد حتى لا يستطع أيمن الوصول إليها وحتى إن وصل سيكون معها القدر الكافي من الحماية ولن تتعرض للأذى.

وصلتا إلى مصح علاج الإدمان ودخلت شهد للمدير لتتحدث معه في البداية رفض رفضاً شديداً ورفضه منطقي ولكنها ظلت تتوسل إليه إلى أن وافق وقرر معها أنه سيحضر لها غرفة تكون بعيدة قليلاً عن المدمنين ولن يعرف بأمر تلك الغرفة ومن فيها إلا حازم والحاج كامل والد شهد ثم اتصل المدير بوالد شهد وحازم ليحضرهما إلى مكتبه وخرج من المكتب حتى يستطع الأقرباء التحدث بحرية.

وهكذا وصلت إيمان لتلك الغرفة التي أصبحت مصدر أمانها فكرت بشهد التي تغيرت بالفعل وساعدتها بكل قوتها وبأسامة الذي ما زال منخدعاً بأيمن إلى الآن ماذا سيفعل تخشى أن يدمره هو الآخر فهو شيطان ويستطيع فعل ذلك.

أخرجها من شرودها طرقات الباب الخفيفة التي اعتادت عليها منذ أسبوع وقالت :

– ادخل يا حازم

دخل لها والابتسامة تملأ وجهه قائلاً :

– ازيك يا إيمي

قالت مصطنعة ابتسامتها :

– الحمد لله انا كويسة

أشار إلى وجهها وهو يقول :

– مش باين يا بنتي يا إيمان بصي قدام وانسي الزفت دة بقا

قالت باكية :

– أنا ناسياه من قبل ما اسيبه أصلاً بس المشكلة ف أسامة هو اللي لسة فاكره صاحبه أنا خايفة على أسامة أوي يا حازم

– إذا كان على أسامة ف أنا هروحله النهاردة واحكيله كل حاجة

قالت باندهاش :

– هو انت مسموحلك تخرج من ها؟

ابتسم قائلاً :

– النهاردة معاد خروجي يا هانم بس في واحدة هتخليني قاعد هنا كام يوم

ابتسمت قائلة :

– ما شاء الله الف مبروك يا حازم وان شاء الله تبقى بداية جديدة ليك

– ان شاء الله اخرج معاكي من هنا ونبدأ احنا الاتنين بداية جديدة وحلوة .. يلا أنا هروح لأسامة البيت قبل ما يروح الشغل وانتي فكي التكشيرة دي

ابتسمت قائلة :

– حاضر

* * *

استيقظت لتجد نفسها في منزل صغير وقديم للغاية لا يوجد به أي مقومات لحياة آدمية ووجدت نفسها مكبلة بالحبال ووجدته يقف أمامها ويعدل من وضع نظارته

كالعادة، رأته لأول مرة بنظرة لم تعهدها من قبل نظرة الشيطان بحق وابتسامة تنم عن الشر الذي بداخله لم تكن تتخيل يوماً أن الرجل الذي عهدته وديع وهادئ والطيبة والبراءة تظهر في ملامحه سيظهر بوجهه ونظراته كل هذا الشر تساءلت لماذا يفعل ذلك؟ ولماذا يؤذي أعز أصدقائه؟ ولكنه لم يعطها الفرصة لتفكر أكثر بل باغتها بذلك السؤال الذي يتردد في ذهنه هو :

– ها بقا هتقوليلي هي فين ولا ناوية تكملي كام يوم هنا منغير أكل ولا مية؟

نظرت له بتحدي :

– حتى لو عملت قد اللي بتعمله دة عشر مرات مش هقولك مكانها

أمسك وجهها بيديه :

– شكلك مش هترتاحي غبر لما أموتك

– وماله حتى يبقا فضلك عليا كبير موتتني شهيدة

أثارت غضبه إلى الحد الذي جعله يقوم من مجلسه ويركل الكرسي الذي كان جالساً عليه ويصرخ بصوت عال :

– اييييه عاملة فيها الخضرا الشريفة ليه مش دة اللي طلقك باقية عليه ليه

– عشان أنا واحدة بصون العشرة والعيش والملح مش زي ناس مبيدمرش فيهم أي حاجة

ضربها على وجهها بقوة جعلتها تصرخ وخرج من المنزل وهو ينفجر من غيظه ولكن دائماً من يقم بجريمة يترك ورائه الدليل فهذا الرجل قد ترك هاتفه على الأرض بجانبها قبل أن يخرج وما إن رأته ظلت تتزحزح بالكرسي الذي تجلس عليه حتى وصلت له وأرسلت رسالة إلى حازم لتقول له أنها مختطفة من قبل أيمن وأنها لا تعرف الموقع تحديداً ولكنها في منزل قديم ومهترئ ثم مسحت الرسالة مسرعة وتركت الهاتف بموقعه حينما سمعت أقدام تتجه ناحيتها، جاء وأخذ الهاتف بسرعة ثم رمقها بنظرة نارية وخرج من المنزل.

* * *

هب واقفاً من مقعده ويتطاير من عينيه الشرر وهو يقول :

– ايه اللي انتو بتقولوه دة؟

– لو مش مصدقني اديك كلمت إيمان وحكتلك كل حاجة بنفسها

ألقى بنفسه على الأريكة مرة أخرى وقد بلغت الصدمة منه مبلغها وقال :

– يا حازم قولي ان أنا بحلم قولي انك بتكذب دة عشرة عمري دة أنا معرفليش صاحب غيره شوف أنا بحب شهد قد ايه بس لما اتكلمت عليه مقدرتش استحمل وبعدت عنها

أمسك بكتفه قائلاً :

– وعشان كدة أول حاجة لازم تعملها انك تروحلها وتعتذرلها دي أنقذت أختك من مصيبة كانت واقعة فيها

وقف مرة أخرى وقال :

– معاك حق يلا بينا

قبل أن يصلا للباب جاءه اتصال من خالته تقول له أن باب منزل شهد مفتوح على مصراعيه وأنها ليست بالداخل وأن هناك إحدى الزجاجات مكسورة داخل المنزل مما جعلهما يسرعان إلى منزل شهد.

وصلا إلى المنزل وكادا أن يدخلا ولكنهما فوجئا برسالة إلى حازم من هاتف أيمن وعرفا من خلالها ما حدث لشهد وتحركا مسرعين لإنقاذها.

دقت الساعة الحادية عشر مساء وما زالا لم يعرفا موقع شهد فبعد أن عرفا ما حدث لها ذهبا إلى الرائد / محمود عبد المقصود فهو صديق مقرب من حازم منذ أن كان

صحفياً وساعدهما في مراقبة هاتف أيمن الذي لم يغلق هاتفه حتى لا يشك به أحداً من أقارب إيمان ولكن ظل موقعه كما هو بالشركة حتى ذلك الوقت ولم يتحرك إلا في الساعة الواحدة ليلاً.

ظلا مع الرائد مما جعل أسامة يصل لمرحلة الجنون لا يعرف ما يخططه أيمن بالشركة هل يخطط لعملية اختلاس أخرى أم ماذا؟ وماذا حدث لشهد خلال ذلك اليوم الطويل وماذا فعل بها ذلك الشيطان أيمن؟ يصبح عصبي تارة ويهدئه حازم تارة أخرى شعر بأنه يريد البكاء في تلك اللحظة ولكنه ليس هناك وقت للضعف فهو يريد معرفة مكان حبيبته وينقذها أولاً.

في الواحدة والنصف ليلاً وصل أيمن لمكان تم تحديده من قبل الشرطة وهو حارة كتكوت (إحدى حواري شارع المعز) وذهب إلى ذلك المنزل البالي الذي يشبه جميع المنازل في هذه الحارة الضيقة وما إن دخل لها وجدها قد أغشي عليها فضرب بيده على الحائط فهو لن يعرف موقع زوجته ظل يحاول إفاقتها بالعطر أو الماء ولكن لم تستفق، ثم حاول أن يعرف إذا كانت تتنفس فعرف أنها على قيد الحياة ولكن لا تستجب لمحاولاته.

وصل ثنائي الإنقاذ إلى حارة كتكوت بينما طلب الرائد محمود القوة اللازمة للقبض عليه ولحق بهما، وصل الإثنان إلى باب منزل أيمن القديم تذكر أسامة ذلك المنزل

الذي زاره مرة واحدة فقط في حياته عندما علم يوماً ما أن أيمن مريضاً وحينها حاول أيمن إخراجه من المنزل بسرعة ولم يرض أيمن أن يدخل أسامة منزله مرة أخرى مهما كانت الظروف وعندها احترم أسامة هذه الرغبة، لم يستطع الإطالة في شروده ولم يطرقا الباب بل تعاونا في كسره حتى لا يهرب أيمن منهما وبالفعل دخلا وتفاجأ أيمن مما رآه.

قام أسامة بفك أسر شهد التي لم تكن مغشياً عليها بل كانت تمثل ذلك حتى لا يظل يسألها عن موقع إيمان بينما قام حازم بالإمساك بأيمن بقوة رغم محاولاته للهرب ولكن حازم أحكم قبضته عليه وتعاونا أسامة وحازم في ربطه بالحبال على نفس مقعد شهد.

أمسكه من قميصه قائلاً بصوت عال :

– ليه يا أيمن أنا عملت فيك ايه أنا ضايقتك ف ايه ليه تأذيني ف شركتي وف أختي وف الست اللي حبتها ليه؟

ثم لكمه لكمة قوية على وجهه نظر له بحقد وكراهية لم ير مثلهما في عيون أي شخص آخر لم يستطع تصديق أن هذا الرجل الذي ينظر له هو صديقه أيمن الذي يحبه كثيراً وتمنى لبرهة أن يكون ذلك حلم.

نظر له تلك النظرة وصمت لبرهة ثم قال :

– طول عمرك غيري مختلف عني عندك كل حاجة متوفرلك كل سبل الحياة من أول الحاجات المادية لحد المعاملة الطيبة من والدك ووالدتك مجربتش الفقر وانك متلاقيش اي حاجة مادية أو معنوية تحببك ف الحياة وييجي واحد زيك يرميلي هدومه القديمة زي ما اكون شحات محسسني دايما بالنقص وعمرك ما هتفهمني

ترك قميصه وهو مصدوم به وقال :

– حرام عليك يا أخي ربنا ينتقم منك يارب اشوف الأيام لما تدور عليك.

جاءت الشرطة وقبضت على أيمن وانتهى أمره أخيراً وعاد أسامة لمنزله بعدما أوصل شهد وتركها مع خالته أما حازم فقد عاد للمصح على أنه سيذهب مع إيمان غداً لمنزل أخيها وأخيراً سيعود لمنزله ووالدته

* * *

استيقظت من نومها وكالعادة نظرت في هاتفها لتجد رسالة منه تقول :

– سامحيني وتعالي الشركة ملهاش طعم منغيرك ومكانك لسة موجود محدش هياخده غيرك

ابتسمت راضية عن هذا الحديث فهي تعرف أنه صُدم كثيراً في صديقه ولا تستطع أن تعامله بقسوة بسبب ما حدث منه تجاهها فقامت من مجلسها ثم ذهبت للشركة.

وصلت هناك ورحب الجميع بها وعندما رآها أسامة من نافذة مكتبه نزل إليها مكتب الحسابات واعتذر لها أمام الجميع مخترقاً كل قوانين الشركة ورحب بها مما جعلها تنسى كل ما حدث سابقاً وتبدأ عملها وهي راضية.

جلست في مكتبها تنظر إلى ساعة يدها فهو لم يصل إلى الآن رغم أنه دائماً دقيق في مواعيده ولأنها تنتظره لم يأت إلى الآن ولكن أتى شخص آخر ليؤكد لها أن القرار الذي اتخذته كان صحيحاً.

نزلت إلى الكافيتيريا لتشتري شيئاً لتشربه وهناك وجدت طفلة يبدو أنها لا تعرف طريقها فنادت عليها وسألتها بابتسامة :

-اي يا حبيبتي بتدوري على حد ؟

-بسأل عن بابا علي جابر بيشتغل هنا ف الحسابات

-علي جابر!!!؟؟

اندهشت بقوة فهي لا تعرف أنه متزوج وكونه طلب يدها للزواج فهذا يعني أنه غير متزوج ولكن ما هذا الذي تسمعه من هذه الطفلة؟

قالت محاولة إخفاء دهشتها:

– علي لسة مجاش

– طب في واحدة بتشتغل هناك اسمها طنط شهد؟

ابتسمت قائلة :

– انا شهد يا حبيبتي خير انتي جاية لوحدك لحد هنا ليه؟

بدأت تبكي وهي تقول :

–عشان خاطري يا طنط بلاش تتجوزي بابا هو قالي أنه عايز يتجوزك ويسيب ماما وانا مش عايزة بابا يبعد عني بلاش يا طنط والنبي

دمعت عيناها وقالت وهي تحتضنها:

– انا عمري ما هعمل كدة يا حبيبتي متقلقيش بابا هيرجع لماما

دخل علي للشركة في تلك اللحظة ورأى شهد تقف مع ابنته وحاول وقتها تعنيف ابنته ولكن استوقفته شهد قائلة :

– اللي يستحق الإهانة مش بنتك اللي يستحقها هو انت يا أستاذ علي

أعطته ظهرها وانهمرت الدموع من عينيها وصعدت السلم لمكتبها ولكنها لم تستطع تمالك نفسها وكادت تقع على الأرض مغشياً عليها لولا أنه كان ينزل الكافيتيريا بالصدفة وأمسك بها قبل أن تقع تركها على السلم ونزل مسرعاً ليأتي بكوب ماء ليقوم بإفاقتها ونجح في ذلك فهي استفاقت وأصر بعد ذلك أن يوصلها للمنزل وجدها علي وهو ما زال جالساً مع ابنته بالكافيتيريا وهي تستند على أسامة فشعر بالخزي كثيراً مما فعله.

ذهب أسامة معها ليوصلها وتركها مع خالته ثم عاد للشركة وفور وصوله سأله علي عن حالها وحكى له عما حدث بينهما وعبر عن خجله من نفسه وندمه وقرر أنه سيعود لزوجته وينسى أمر ذلك الزواج.

فكر أسامة كثيراً بذلك داخل مكتبه سأل نفسه هل نسيته بالفعل وقررت الزواج من رجل آخر ؟ حزن كثيراً لما سمعه من علي وشعر أن فرصته في الرجوع إليها قد انتهت وأنها لم تعد تكترث لأمره بالفعل.

عاد إلى منزله مهموم مما جعل والدته وأخته تسألانه عما حدث وبالفعل حكى لهما عن شهد وما حدث معها اليوم مما جعل السيدة أمل تهب واقفة من مجلسها وتقول:

– يا حبيبتي يا شهد يا ترى عاملة ايه دلوقتي

نظر لها بدهشة قائلاً :

– متقلقيش هي مع خالتو دلوقتي وبعدين انتي معاها ولا معايا؟

جلست بهدوء مرة أخرى لتقول :

– معاها طبعا من حقها تدور على حد يونسها وتعيش معاه بقيت عمرها وخصوصا انها لسة صغيرة ومن حقها تعيش مع حد يكمل معاها للآخر وحضرتك قلتلها بعضمة لسانك انك مش عايز ترجعلها يبقا ليه بقا متفكرش؟ انت بتلومها على ايه يا أسامة؟

–معاكي حق بس انا عايز اعرف حاجة يا ماما انتي ليه دائماً اكتر واحدة بتدافعي عنها؟ ومش هتهربي مني النهاردة لازم اعرف السبب

ظلت تنظر حولها محاولة التهرب ولكنه أمسك يدها قائلاً :

–عشان خاطري يا ماما لو في حاجة مهمة المفروض اعرفها قوليهالي

قالت وهي توجه نظرها لأمها :

–بصراحة أنا كمان عندي فضول

ترقرقت الدموع في عينيها وهي تقول :

قبل جوازكو بكام يوم الست سعاد جتلي البيت ف الوقت اللي بتبقى فيه ف شغلك يا أسامة واضح انها كانت قلقانة وخايفة لكنها اتشجعت وبدأت تدخل ف الموضوع.

.....

ظلت تعدل من وضع حجابها تارة وتعتدل في جلستها تارة أخرى ثم بدأت في الحديث متوكلة على الله وهي تقول :

– دلوقتي يا أمل أنا كبرت ف السن والله أعلم الحق هياخد حقه امتا وكنت عايزة اوصيكي عليها

ابتسمت قائلة:

– انتي عارفة أنها متفرقش حاجة عن أسامة وإيمان

– عارفة طبعاً لكن في حاجة لازم احكيهالك عن شهد محدش هيقولك الكلام دة غيري ولو هتقبليها لازم تتعايشي مع المشكلة دي وتحاولي تغيريها انا بكلمك زي أختي

ربتت على كتفها قائلة :

– متقلقيش يا سعاد انتي زي أختي فعلاً واوعدك أن اي حاجة هتقوليها هتكون سر بيني وبينك

تنحنحت قائلة :

– شهد وهي عندها ١٠ سنين شافت كل اللي حصل بيني وبين باباها وعرفت أنه كان عايز يسيبنا ويتجوز واحدة تانية البيه كان عايز ولد مش بنت وكل دة شهد سمعته.

للأسف ابوها على قد ماهو كان عايز ولد الا ان غريزة الأبوة فيه كانت بتخليه يبقا حنين عليها ويدلعها اوي عشان كدة كانت بتحبه جدا ومتعلقة بيه وطبعا كامل اتخانق معايا وقالي الكلام دة وبعدين طلقني وخرج من البيت.

فضلت شهد تعيط وتجري ورا ابوها عشان تترجاه ميسيبهاش ويمشي فضلت وراه لغاية الشارع وتحاول تمسكه من قميصه لكن دة خلاه لأول مرة يقسى عليها زقها وقعها ع الأرض ومشي وسابها ومن ساعتها بقت بتخاف تتعلق بحد ويسيبها ويمشي عارفة كانت ساعات تغير من صحباتي وتحاول تبعدهم عني بأي طريقة عشان خايفة اسيبها لوحدها وأخرج معاهم .

خلاصة الكلام يا أمل أن شهد حبت أسامة بجد وانا متأكدة انها هتسعده ومتطمنة عليها معاه لأنه ابن حلال وأخلاقه فوق الوصف لكن قصاد كدة ممكن تبقا عايزة تستحوذ عليه عشان تحس بالأمان وأنه مش هيبعد عنها أنا بس عايزاكي تستحمليها لأن ممكن بعض تصرفاتها بعد الجواز تزعلك لكن بالصبر ممكن تبقا أفضل.

مسحت الدموع التي بدأت تترقرق في عيونها وابتسمت قائلة :

– اوعدك يا حبيبتي اني هساعدها واستحملها أنا قلتلك م الاول أنها زي بنتي بالظبط

– بس أمانة عليكي الكلام دة سر بيني وبينك مفيش داعي تحكيه لأسامة

– اوعدك أن شاء الله

.....

مسحت دموعها وهي تقول:

– عرفتو ليه بقا كنت بستحملها مهما عملت؟

قام من مجلسه وقد بدا على وجهه الحزن ودخل غرفته على الفور جلس على كرسي مكتبه واضعاً رأسه بين كفيه بدأ يفكر فيما فعله تذكر المشهد الأخير في زواجهما وهي تتوسل إليه ألا يتركها ولكنه كرر نفس المشهد بالضبط وقام بدفعها لتقع على الأرض مرة أخرى الشخص الذي من المفترض أن يكون هو أمانها صار مصدر قلقها وفي نهاية المطاف نفذ مخاوفها لم يكن يخطر بباله أن هذا القرار كان أسوأ قرار اتخذه بالفعل.

أمسك هاتفه واتصل بها ليطمئن عليها وعندما ردت عليه قال :

–عاملة ايه يا شهد دلوقتي

ابتسمت قائلة :

– زي القردة

ابتسم رغم دموعه وهو يقول :

– قلقتيني عليكي

– متقلقش انا الحمد لله كويسة اوي بس هو انت صوتك ماله. انت كويس؟

تصنع القوة قائلاً :

– انا الحمد لله كويس .. سمعت من علي عن اللي حصل انتي مش غلطانة يا شهد متحمليش نفسك فوق طاقتها

– الحمد لله أنا من قبل ما اعرف انه متجوز وعنده بنت وأنا مقررة اني أرفض وكنت مستنياه عشان ابلغه قراري

ابتسم لنفسه ابتسامة بلهاء ثم قال :

– ليه كنتي هترفضيه؟

علمت ما يرنو إليه لذا قالت :

– عشان لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين حد يغلط الغلطة دي مرتين يا عم ريح دماغك

صمت فقالت وهي تشعر بالانتصار :

– تصبح على خير يا أسامة

– وانتي من أهله

أغلقت وظلت تضحك بصوت عال وضحك هو الآخر لأنه عرف من صوتها نبرة المزاح وعندها اتخذ قراره بالرجوع إليها وبلا رجعة فهي حبيبته ولن تكون لأحد غيره وخطأه في حقها يريد أن يعوضها باقي عمره عنها لم يكن يعلم نتيجة قراره بالطلاق وما شعر به في بعده عنها هو شعور المرء في الصحراء بلا أي عدة أو تحضيرات لتلك الرحلة وكأنه قابل جيشاً بلا أسلحة، واليوم وبعدما علم من والدته ما لم يكن يعلمه اتخذ قراره بالرجوع من الرحلة واستقبال الحياة وجمع الأسلحة ليحارب كل شكوكه ومخاوفه ويحارب كل ما يفرقه عنها سيجعلها سعيدة باقي عمره.

*** * ***

في صباح اليوم التالي ذهبت إلى عملها ووصلت لمكتبها لتجده هناك يجلس مع الموظفين فقالت :

– ايه النور دة أستاذ أسامة ف مكتبنا المتواضع

ابتسم قائلاً :

– عندك تأخير ١٠ دقائق

قالت بسخرية :

مكنتش لاقية ركنة العربية تحت ههه ما حضرتك عارف ان المواصلات صعبة يافندم

– ماشي يا ستي المهم بقا يا جماعة بكرة يبقا عيد ميلاد الشركة ١٥ ديسمبر ٢٠١٥

ابتسمت قائلة :

– ما شاء الله كدة بقالها رسمي ٤ سنين

– ايوة يا شهد

– اكيد يوم افتتاحها كنت هتطير م الفرحة

بدا على وجهه الحزن وهو يقول:

– بالعكس خالص كنت مبوذ جدا

بسطت كفها قائلة :

– ليه كدة بس؟

نظر إلى الأرض وهو يقول :

– عشان في شخص كان نفسي يبقا معايا وقتها ويقص الشريط بنفسه كمان

ابتسمت وصمتت فقال هو :

– المهم بقا كل سنة موظفين الشركة هما أصحاب الحفلة وهما اللي بينظموها بنفسهم يعني انتو وبقيت الأقسام هتتعاونو عشان تعملولنا حفلة حلوة وانا معاكو وهساعدكو

قال الجميع :

– تمام يا فندم

ابتسم ثم غادر ولكنها ابتسامة تظهر على شفتيه فقط وليس في عينيه وهذا ما لاحظته ولكنها لم تحاول السؤال عن ذلك.

انتهى يوم الشركة وكالعادة ذهبت في طريقها لسلم الشركة ولكن استوقفتها يده فالتفتت إليه فقال لها :

– بدون مقدمات عايز اتغدى معاكي ممكن؟

ابتسمت قائلة :

– مش هقولك لأ عشان انا جعانة جدا ومكسلة اطبخ

ضحك قائلاً :

– طب يلا بينا

في ذلك المطعم على النيل، هو الشاهد على حبهما منذ البداية فأول يوم يخرجان معاً بعد خطبتهما كان هو وبعد أن تزوجا ظلا يأتيان ليجددا ذكرياتهما وأحياناً كانا يخرجان كلاً من عمله ويتقابلا هناك، هو شاهداً على الكثير من ذكرياتهما.

عندما دخلت إلى هناك تساءلت لماذا هذا المكان تحديداً لماذا يريد فتح الدفاتر القديمة؟ ظلت تتجول بعينيها وهي مكانها لا تستطع الحراك ولكنه استحثها على الذهاب معه لإحدى الطاولات.

توتر كثيراً وتعرق جبينه ولم يكن حالها يختلف عن حالته فهي أيضاً متوهج وجهها من شدة الاحمرار ولا تعرف ما هذا الهراء ليتها لم توافق على هذا الغداء، خيم الصمت عليهما إلى أن بادر بالحديث :

– بقولك ايه يا شهد احنا هنفضل ساكتين كدة كتير أنا لازم اقولك أنا عايز ايه

تنهدت قائلة :

– اتفضل

– شهد ..... تتجوزيني؟

توترت أضعاف توترها وظلت تجول بعينيها بعيداً عنه تعرقت يدها وشعرت بقلبها وكأنه أقوى عداء في الأوليمبيات فلم يدق هكذا حتى يوم جاء أسامة لخطبتها أول مرة ظلت صامتة ولكنها اضطرت لترد على سؤاله :

– بص يا أسامة يمكن لو كنت جيت من أسبوعين بس تقولي انك عايز ترجعلي مكانش هيبقا في أسعد مني لكن دلوقتي .....

نظر لها باهتمام :

– ليه يا شهد؟ بطلتي تحبيني؟

ازدردت ريقها بصعوبة قائلة :

– انت عارف انه لا، بس يا أسامة انت كنت زمان بتثق فيا حتى لما كنت بغلط كنت بتسمع كلامي لكن دلوقتي.... دلوقتي مقدرتش تصدق ولا كلمة مني عاملتني كأنك متعرفنيش قبل كدة، يمكن معاك حق اللي كنت بعمله زمان خوفك مني بس انت عارفني كويس أخلاقي متسمحليش بالحرام، بص يا أسامة احنا كدة كدة هنتفرق لأن الثقة فيا انهارت عندك من زمان وارجع واقولك معاك حق.

أخذت نفساً عميقاً وهي تقول :

– عن اذنك يا أسامة

* * *

تعاون الجميع في تحضيرات ذلك الحفل وظهرت القاعة في النهاية في أبهى صورها وبدأ حفل عيد تأسيس الشركة وقد جاء أقارب أسامة جميعهم ومعهم بعض الشخصيات الهامة وأصحاب الشركات.

وقف أمامها قبل أن يبدأ الحفل وهو يقول :

– الحمد لله بدأت الشغل ف الجرنال اول امبارح

ابتسمت قائلة :

– ما شاء الله حلو اوي الف مبروك يا حازم

– الله يبارك فيكي يا إيمي

تنحنح وبدأ يتعرق من توتره ولكنه قال :

– انا عايز اعترفلك بحاجة يا إيمان

– خير؟

– زمان وانا عندي ١٥ سنة حبيت واحدة من طرف واحد كانت بتلعب معايا وانت صغير ولما كبرنا شوية بقا سرنا مع بعض وبقينا أصحاب لكن بقا الثانوي والكلية والحاجات دي يعني لهتني عنها وكنت فاكر اني نسيتها لكن لما قربت منها تاني حسيت كأن السنين دي معدتش واني لسة واقف مكاني مستني منها إشارة

احمرت وجنتيها خجلاً ونظرت للأرض وهي تقول :

– الحقيقة أنا كمان حصلي نفس الموضوع لما كنت ف ٢ إعدادي وبرضو حسة دلوقتي كأن السنين معدتش

ابتسم قائلاً:

– يعني ممكن لما تخلص عدتك تتجوزي الراجل الغلبان اللي واقف قدامك دة؟

أومأت بالإيجاب وابتسمت ابتسامة واسعة وهكذا هذان الحبيبان عادا إلى بعضهما بعد أن تاها لسنوات وسيبدآن حياة جديدة بعد أن ذاقا التجارب الصعبة والمحزنة.

بدأ الحفل ووقف ونزل من مكتبه أخيراً وبمجرد نزوله بدأت تعزف فرقة وسط البلد والتي كانت مفاجأة لكل من في الحفل أغنية حديثة لهم وبدأ هاني عادل يغني :

وهتفضل علطول لعبتها

اكمنك دوبت وحبتها

اكمنك صدقت عنيها

وبقت روحك تجري عليها عليها عليها

أثناء الأغنية بدأ يختلس النظرات لها ويبتسم تلك الابتسامة البلهاء التي تعشقها ولكنها مندهشة من هذه التصرفات ماذا يفعل هذا الرجل الآن؟

حالما انتهت الأغنية صعد ليلقي كلمته كرئيس لمجلس الإدارة وبدأ يقول :

– ولو اني هخرج عن قصة انجازات الشركة لكن ارجوكم استحملوني شوية

أنا عايز اشكر أستاذ هاني على الأغنية دي

أومأ هاني له شكراً

اللي أصريت أنه يبدأ بيها الحفلة لأنها بتعبر عني فعلاً الأغنية دي لما سمعتها أول مرة عرفت انها معمولة عشاني دي حقيقة

زمان اتجوزت تقليدي شفت بنت كذا مرة وعجبتني وقلت لماما انا عايز اخطبها بس أثناء الخطوبة حبيتها اوي ودة كان شعورها هي كمان ولما اتجوزتها وقعت ف حبها اكتر وبقيت عامل زي الأنتيكا تحركها براحتها لحد ما ف يوم زهقت وقلتلها اطلقي سراحي بقا مش عايز ابقا لعبة ف ايدك

النهاردة وبعد ٥ سنين مرو على طلاقنا اكتشفت اني كنت حمار

بدأ ينظر لها بحب ويقول:

أنا حاسس دلوقتي اني عايز أبقا انتيكا تاني ووالله ما هاتذمر أبداً أنا معرفتش ابقا لعبة حد تاني أنا لعبتك انتي وبس وعايزك ترجعيلي وتبقي شريكتي ف شركتي وف بيتي كمان يعني تتحكمي فيا من جميع النواحي وانا واثق انك عمرك ما هتخذليني عشان خاطري سامحيني أرجوكي أنا عارف اني مستاهلش بس انتي بتحبيني وهتسامحيني ما اللي بيحب بيسامح

انتي طبعاً واقفة بيننا هنا لو سمحتي اذا كنتي موافقة على كلامي اطلعي هنا واقفي جنبي

نظرت بعينيها الدامعة يمينها لتجد السيدة أمل تقول :

– ارحميه يا شهد ووافقي والله ما عرف يبص لغيرك طول السنين اللي فاتت

نظرت يسارها لتجد السيدة منى تقول لها :

– اعتقد انك انتي كمان معرفتيش تحبي حد غيره

رأت والدها والذي كان مفاجأة لها في بداية الحفل فقد عزمه أسامة مسبقاً عن طريق حازم رأته ينظر إليها ويومئ بالإيجاب كثيراً ويحثها على الصعود بجانبه.

وأخيراً اتخذت قرارها وصعدت إلى جانب حبيبها الأول والأخير وعندما وصلت إليه أمسك يدها وقال :

– وحشتيني أوي

مسحت دموعها قائلة :

– بوظتلي الميك اب

ضحك كثيراً وقال :

– هي دي حبيبتي يا جماعة بتبوظ اللحظات الرومانسية

وقف كل موظفي الشركة في ذهول مما يحدث لم يكونوا يعرفوا أنها كانت زوجة أسامة من قبل وهي لم تتطرق للموضوع لأنها لا تريد كثيراً من الحديث حول قصة انتهت بالفعل.

قال لها أسامة في حب :

– بما إن حضرتك شريكتي ف الشركة من النهاردة ف اتفضلي قولي كلمتك يا حبيبتي

وقفت أمام الميكروفون وبدأت تتحدث :

– أولاً أنا عايزة اعتذر لكل اللي مكانوش يعرفو قصتي مع أسامة بس الكلام ف اللي فات مش بيودي ولا بيجيب

أنا زعلت مني ناس كتير أوي والغريب ان الناس دول هما بقو أغلى حاجة ف حياتي دلوقتي يمكن لو كنت زمان مزعلتهمش وحبيتهم من قلبي مكانوش ضاعو خمس سنين من عمري بعيد عن أسامة، كل واحد فينا بياخد قرارات ف حياته لو قدرنا نبص لقدام شوية قبل ما ناخد القرار لو سمعنا كلام اللي حوالينا وهما بيقولو بلاش قبل ما نبدأ ف التنفيذ لو فكرنا بعقلنا شوية قبل ما نسمع للشيطان أو لقلبنا الطيب يمكن مكناش نقع ف فخ سوء الاختيار أنا هنفذ الكلام دة ف شغلي وف حياتي إن شاء الله وأتمنى ان كل واحد هنا خد قرار غلط يصلحه ويفكر ف النتايج قبل ما يبدأ ف المقدمات

صفق الجميع لما قالته ونزلت هي وحبيبها إلى أقاربهما وهنأهما الجميع واحتضنت شهد السيدتان أمل ومنى ووالدها وإيمان وانتهى هذا الحفل بعودتهما رغم أنهما كانا قد قررا عدم العودة ولكن الحب يغلب على قرارات العقل دائماً

..... تمت بحمد الله .....

نبذة عن المؤلِّفة

الاسم :

أسماء محمد حمودة

الدولة: مصر

الدراسة:

–ليسانس آداب وتربية قسم تاريخ

الأعمال السابقة :

– شاركت في مجموعة قصصية بعنوان (الملاذ الاخير) التابعة لفريق ورشة الكتابة (نوفيستوري) بمحافظة بورسعيد وقصتي بعنوان (الملاذ الأخير) والتي نزلت بمعرض القاهرة الدولي للكتاب في يناير عام ٢٠٢٠.

– لا توجد كتب مستقلة.